النفوذ الفاطمي

في جزيرة العرب

تأليف

الدكتور محمد جمال الدين سرور

كلية الآداب - جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الإدارة : ٩٤ شارع عباس العقاد

مدينة نصر ت : ٢٦١٩٠٤٩

٩٥٣.٠٧
م ح ن ف

محمد جمال الدين سرور.
النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب / تأليف محمد جمال الدين سرور . - القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٩٣.
١٢٣ ص ؛ ٢٤ سم .
ببليوجرافية : ص [١٠٧] - ١١١ .
يشتمل على ثبت بالأعلام وآخر بالأسماء والأماكن .
١- شبة الجزيرة العربية - تاريخ - العصر الفاطمي.
٢- اليمن - تاريخ- العصر الفاطمي. ا - العنوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا كتاب يتناول ناحية من نواحى سياسة الفاطميين الخارجية، يتجلى لنا من ثناياها تطلعهم إلى زعامة العالم الإسلامى التى كان العباسيون يحتفظون بها رغم ضعف سلطتهم بسبب استفحال نفوذ الأتراك وما تلا ذلك من انقسام دولتهم إلى دول مستقلة ومناطق نفوذ للعناصر التركية والفارسية والعربية.

وقد اشتد التنافس بين العباسيين والفاطميين على تقلد هذه الزعامة. وكان العباسيون يرون أنهم جديرون بها لأحقيتهم بالخلافة الإسلامية، على حين تمسك الفاطميون بنظريتهم القائلة باغتصاب العباسيين الخلافة، ومن ثم لم يعترفوا بسلطتهم الدينية، وحرصوا على انتزاع زعامة العالم الإسلامى منهم، فمدوا سلطانهم على مصر والشام، كما وجهوا اهتمامهم إلى السيطرة على جزيرة العرب وعلى الأخص الأراضى المقدسة بها لأن امتلاكها أصبح له شأن كبير عن ذى قبل. ذلك أن السيادة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة صار ينظر إليها منذ أواخر القرن الرابع الهجرى على أنها من مستلزمات الخلافة، وأن من يظفر بها يعتبر خليفة المسلمين الحقيقى.

وقد عنيت فى هذا الكتاب بدراسة الوسائل التى اتبعها الفاطميون

لنشر سلطانهم ببلاد الحجاز، فوضحت كيف ناهضوا نفوذ العباسيين فى الأماكن المقدسة، وأقاموا الدعوة لهم بهذه الأماكن، وأصبحوا بفضل رعايتهم شئون مكة والمدينة وتأمينهم الوافدين إليهما موضع تقدير العالم الإسلامى.

كذلك تناولت بالبحث قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين وولاء أمرائها للفاطميين واتحادهم فى سياستهم العدائية إزاء العباسيين، ثم تحدثت عن العوامل التى بدّلت من صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة فى أواخر القرن الرابع الهجرى، وما تبع ذلك من ضعف السيادة الفاطمية ببلاد البحرين.

ولما كانت بلاد اليمن موطن الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب، لذلك وجهت عنايتى إلى توضيح السياسة التى اتبعها الخلفاء الفاطميون للإبقاء على نفوذهم بهذه البلاد، كما بينت ما كان لتوثق عرى الصداقة بين هؤلاء الخلفاء وبعض أمراء اليمن من أثر فى احتفاظ الفاطميين بمركز ممتاز فى بلادهم.

أرجو الله سبحانه وتعالى التوفيق فيما أنا بسبيله من خدمة تاريخ الإسلام والعرب.

محمد جمال الدين سرور

محتويات الكتاب

الفصل الأول
الدعوة الفاطمية فى بلاد الحجاز

الفصل الثانى
السيادة الفاطمية فى بلاد البحرين

الفصل الثالث

الدعوة الفاطمية فى اليمامة وعمان

صفحة

الفصل الرابع

النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن

صفحة

الفصل الأول

الدعوة الفاطمية فى بلاد الحجاز

تمهيد

كان لقيام الخلافة فى جزيرة العرب أثر كبير فى وحدتها السياسية، فلما انتقل مركزها من المدينة المنورة إلى الكوفة، ثم إلى دمشق فى عهد الأمويين، ثم إلى بغداد فى عهد العباسيين تفككت عرى هذه الوحدة، وانقسمت جزيرة العرب إلى ولايات متفرقة وهى:

بلاد الحجاز وبلاد البحرين واليمامة وعمان وبلاد اليمن.

لم يتمتع سكان هذه البلاد من العرب طويلا بمركز ممتاز فى الدولة الإسلامية على الرغم مما بذلوه من جهد مشكور فى نشر الدعوة الإسلامية وفى فتح الأراضى الخاضعة لنفوذ الفرس والروم؛ فقد أثارت سياسة الدولة الأموية القائمة على التعصب للعرب ، المسلمين من غير العرب ؛ وانتهى الأمر بحدوث ذلك الانقلاب الذى أزال سلطان العرب وبعث النفوذ الفارسى الذى مثل دوره بشكل واضح منذ قيام الدولة العباسية حتى ولى المعتصم الخلافة، فساء ظنه بالفرس، ولم يعد أمامه بعد أن جفا العباسيون العرب إلا البحث عن عنصر جديد ليس له الأهواء السياسية التى للعرب وليست له المصالح الخاصة التى للفرس وهداه تفكيره إلى الاستعانة بالأتراك ، فأكثر منهم وخصهم بالنفوذ وجعل لهم مركزاً فى مجال السياسة والحرب ، وحرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ، كما كتب إلى عماله فى الولايات الإسلامية بإسقاط

أسمائهم من الدواوين وقطع العطاء عنهم، وبذلك حرم العرب من المرتبات المقررة لهم فى ديوان العطاء.

لم يكن لدى العرب القوة التى يستطيعون بها استعادة سلطانهم لتفرق كلمتهم فى الجزيرة العربية، فقد حرص كل فريق منهم على العمل لمصلحته دون سواه مما أدى إلى فشل قضيتهم التى كانوا يدافعون عنها وزادت حالتهم سوءاً فى العصر العباسى الثانى لاستئثار الأتراك بالنفوذ والسلطان فى الدولة الإسلامية.

كذلك كانت الأمور فى جزيرة العرب غير مستقرة بسبب الفتن التى أثارها العلويون فى بلاد الحجاز واليمن، أضف إلى ذلك ظهور القرامطة فى بلاد البحرين وبسط سلطانهم على اليمامة وعمان. وكان لهذه الأحداث أسوأ الأثر فى جزيرة العرب، فصارت فى شبه عزلة، كما تأخرت مادياً وعلمياً.

* * *

كان العلويون فى بلاد الحجاز كثيراً ما يثيرون الاضطرابات ضد العباسيين، فلما قضى خلفاء العصر العباسى الأول على حركاتهم ضعف أمرهم واستكانوا، وظل ولاة بنى العباس يتولون الحكم فى بلاد الحجاز حتى شغل الخلفاء العباسيون بالفتن والثورات التى أثارها الأتراك فى أواخر القرن الثالث الهجرى، فاستغل هذه الفرصة بعض العلويين الطامحين إلى النفوذ والسلطان من بنى سليمان بن داود بن

الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وعملوا على الاستقلال بإمارة مكة[١]، وسرعان ما تغلبوا عليها وأسسوا بها دولة السليمانيين وخلع أميرهم طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة سنة ٣٠١هـ فى خلافة المقتدر[٢]، وقال فى خطبة له بموسم الحج: «الحمد لله الذى أعاد الحق إلى نظامه، وأبرز زهر الإيمان من أكمامه، وكمل دعوة خير الرسل بأسباطه لابنى أعمامه، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وكف عنا ببركته أسباب المعتدين، وجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم الدين[٣]».

على أن دولة بنى سليمان بمكة لم تكن من القوة بحيث تستطيع حماية الحجاج وصد المغيرين عليها، فقد هددها القرامطة فى بلاد البحرين واستولوا عليها سنة ٣١٧هـ، وأقاموا الخطبة لعبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب؛ وعلى الرغم من ذلك كله فلم يقض على سيادة العباسيين على مكة إلا فترة قصيرة من الزمن، فقد شغل القرامطة عنها بالعمل على تحقيق أطماعهم فى بلاد الشرق مما ساعد على عودة نفوذ العباسيين إلى مكة. فأقيمت الخطبة فيها للراضى بن المقتدر سنة ٣٢٧هـ[٤]، بل إن هذا الخليفة أسند ولاية مكة والمدينة إلى محمد بن طغج الأخشيد والى مصر من قبله، وأيد ذلك أخوه المتقى من بعده، فضم الحجاز إلى محمد الأخشيد[٥]، وصارت تقام له الخطبة مع الخليفة العباسى على منابر مكة والمدينة

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدا والخبر جـ٤ ص ١١.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ٤ ص ٢٦٧ – ٢٦٨.

(٣) ابن خلدون جـ٤ ص ٩٩.

(٤) ابن خلدون: جـ٤ ص ١

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٢ ص ٥٣ ـ ٥٤. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٣ ص ٢٣

وقد نوه محمد الأخشيد بتقلده مكة والمدينة فى الكتاب الذى أرسله إلى رومانوس أمبراطور الروم. وكان هذا الامبراطور قد بعث إليه كتابا قال فيه: إنه لم تكن عادته أن يكاتب إلا الخليفة والتمس تبادل الأسرى. فكتب إليه محمد الأخشيد كتابا أشار فيه إلى المكانة السامية التى يتمتع بها مدللا على ذلك بالبلاد التى فى حوزته؛ وبعد أن ذكر أن منها مصر وبلاد الشام قال: «هذا إلى ما نتقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة والدلالات الظاهرة فإنا لو لم نتقلد غيرها لكانت بشرفها وعظيم قدرها وما حدث من الفضل تُوفى على كل مملكة لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وإرثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام. ومنها مدينة رسول الله ﷺ المقدسة بتربته وأنها مهبط الوحى، وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر والسهل والوعر والشرق والغرب وصحارى العرب على بعد أطرافها وتنازح أقطارها وكثرة سكانها فى حاضرتها وباديتها، وعظمها فى وفودها وشدتها، وصدق بأسها ونجدتها، وكبر أحلامها وبعد مرامها. وانعقاد النصر من عند الله براياتها، وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى وشرد قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها..»

ظلت سياسة العباسيين قائمة بمكة بعد أن تقلد ولايتها الأخشيديون فى مصر؛ فلما استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤هـ شاركوهم هذه السيادة، فأقيمت الخطبة بمكة للمطيع العباسى مع معز الدولة بن بويه، ثم عمل البويهيون على ألا يكون للأخشيديين نفوذ فى الأراضى المقدسة

(١) القلقشندى: جـ٧ ص ١٠ - ١٤.

ببلاد الحجاز، وقام الخلاف سنة ٣٤٢هـ بين أمير الحج المصرى وأمير الحج العراقى على الخطبة لابن بويه أو ابن الأخشيد؛ وتطور النزاع إلى نشوب الحرب بين أنصار كل منهما؛ فلما انهزم المصريون أقيمت الخطبة لمعز الدولة بن بويه[١]. على أن ذلك لم يقض نهائياً على نفوذ الأخشيديين بمكة؛ فقد ولى الخليفة المطيع كافور الأخشيدى بلاد الحجاز بالإضافة إلى مصر والشام، وصار يدعى له بمقتضى هذه التولية على منابر هذه البلاد مع الخليفة العباسى[٢]. ثم دعى بعد وفاته للحسن بن عبيد الله بن طغج الأخشيد[٣].

لم يكن اهتمام العباسيين ببسط سلطانهم على المدينة المنورة أقل من حرصهم على الاحتفاظ بسيادتهم على مكة. وكان العلويون قد اتخذوا المدينة مركزاً لإثارة الفتن فى وجه الخلافة العباسية مما حمل بعض الخلفاء على إسناد ولايتها إلى وال مستقل عن والى الحجاز حتى يتفرغ للعمل على استقرار الأمور فيها والقضاء على ثورات العلويين. ولما تقلد الأخشيديون بلاد الحجاز دخلت المدينة فى حوزتهم، فأبقوا للعباسيين سيادتهم عليها.

كان يقيم بالمدينة بعض أفراد من بنى الحسين بن على بن أبى طالب، أخذوا يتحينون الفرص للاستقلال بولايتها كما فعل بنو سليمان بمكة، لكنهم لم يكن لديهم القوة التى تساعدهم على تحقيق أغراضهم؛ فلما قدم

(١) ابن خلدون جـ ٤ ص ١٠٠.

(٢) أبو الفداء : جـ ٢ ص ١٠٧ ، المقريزى خطط جـ ١ ص ٣٣٠.

(٣) أبو المحاسن . جـ ٤ ص ٩ - ١٠.

عليهم من مصر طاهر بن مسلم[١] من أحفاد الحسين ولوه أميراً عليهم، وما لبث طاهر أن استقل بإمارة المدينة سنة ٢٦٠هـ[٢]. ولم تقم الخلافة العباسية بأى محاولة للوقوف فى وجهه بسبب ما أصابها من ضعف.

ظل العباسيون يتمتعون بالسيادة على كل من مكة والمدينة لا ينازعهم فيها منازع حتى أقام الفاطميون خلافتهم فى إفريقية وأخذوا يعملون على توسيع رقعة دولتهم وذلك باستيلائهم على مصر والشام؛ فلما تم لهم فتح هذه البلاد وأصبحت القاهرة مقر خلافتهم تطلعوا إلى بسط نفوذهم على الأراضى المقدسة بالحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامى ويضعفوا من شأن الخلافة العباسية. ولم يدر بخاطر العباسيين بعد أن تقلدوا زمام الحكم أن الاحتفاظ بالسيادة على مكة والمدينة سيكون له أثر فى وثوق رعاياهم من المسلمين بأحقيتهم فى الخلافة؛ فلما طمع الفاطميون فى السيطرة على هاتين المدينتين، ظهرت من ثنايا النزاع بينهم وبين العباسيين على امتلاك الأراضى المقدسة بالحجاز نظرية جديدة تتضمن أن أمير المؤمنين الحقيقى هو من استطاع بسط نفوذه على الحرمين المكى والمدنى.

وكان العلويون فى هذا النزاع على الأراضى المقدسة هم الخصم الثالث الذى يأتى أخيراً فيفوز بالغنيمة؛ فاستقل أمراء الأشراف من بنى الحسن

---

(١) كان مسلم يدبر أمر مصر أيام كافور واسمه محمد بن عبد الله بن طاهر بن يحيى المحدث ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩).

(٢) ابن خلدون: جـ٤ ص ١٢

بمكة، كما استقل بالمدينة أمراء الأشراف من بنى الحسين وأصبح هؤلاء الأمراء سادة الحرمين[١].

بدأ اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز منذ خلافة المعز لدين الله الفاطمى، فقد رأى هذا الخليفة على أثر ما بلغه من وقوع نزاع بين بنى الحسن وبنى جعفر بن أبى طالب أن يعمل على حسم الخلاف بينهم؛ فأنفذ إليهم سراً مالا ورجالا سعوا بين هذين الفريقين حتى عقدوا بينهم صلحاً فى المسجد الحرام، وقام رسل الخليفة الفاطمى بأداء دية قتل بنى الحسن سنة ٣٤٨هـ مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم، ولما تم لجوهر الصقلى فتح مصر سنة ٣٥٨هـ، بادر حسن بن جعفر الحسنى فاستولى على مكة ودعا للمعز على منابرها، فبعث إليه المعز من المغرب بتقليده الحرم وأعماله[٢].

كذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة وحذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة فى كل من مكة والمدينة[٣]، وعمل المعز على تثبيت سلطته على هاتين المدينتين بالأموال التى صار يرسلها إليها؛ فقد أنفذ سنة ٣٥٩هـ - كما قال المقريزى[٤] - «عسكرا وأحمال مال عدتها عشرون حملا للحرمين وعدة أحمال متاع» - وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين فى بلاد الحجاز.

ظلت الخطبة تقام للمعز فى كل من مكة والمدينة حتى توفى سنة ٣٦٥هـ

(١) متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ٢ ص ٥ -٦

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) عبد القادر الأنصارى: درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٢.

(٤) اتعاظ الحنفا ص ١٧٢

وخلفه ابنه العزيز، فانقطعت الخطبة له فى بلاد الحجاز؛ فبعث إليها سنة ٣٦٧هـ بإدريس بن زيرى الصنهاجي أميراً على الحج. فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة[١]، على أن نفوذ الفاطميين رغم ذلك لم يكن مستقراً فى مكة والمدينة طوال عهد العزيز. فقد دعا أمير حاج العراق لعضد الدولة بن بويه، واضطر العزيز سنة ٣٨٠هـ إلى إرسال حملة إلى بلاد الحجاز ضيقت الحصار على أهلها، وانتهى الأمر بإعادة الخطبة للعزيز على منابر مكة والمدينة، وانقطعت الدعوة للعباسيين بهاتين المدينتين[٢].

ظل طاهر بن مسلم الذى يعد أول أمير من بنى الحسين استقل بالمدينة مواليا للفاطميين حتى توفى سنة ٣٨١هـ، فخلفه فى إمارتها ابنه الحسن بن طاهر ويلقب مهنى[٣]، فسار على نهج أبيه فى اعترافه بسيادة الفاطميين على المدينة. أما إمارة مكة فكان يليها فى ذلك الوقت عيسى بن جعفر من بنى الحسن. ولما توفى سنة ٣٨٤هـ خلفه أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر. وقد أقام كل منهما الخطبة للفاطميين اعترافاً بما لهم من نفوذ على مكة.

وكان الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر فى بداية عهده مخلصا فى ولائه للفاطميين، فقد طلب منه الخليفة القادر بالله العباسى الدخول فى طاعته وأغراه بالمال والخلع التى بعثها إليه، كما وعده بالعمل على إبقاء الحكم فى مكة وراثياً لبنيه من بعده، لكنه رغم ذلك أبى تحقيق رغبة الخليفة العباسى وبعث إليه بأن الخطبة فى مكة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله دون

(١) ابن خلدون جـ٤ ص ١٠١.

(٢) ابن خلدون: جـ٤ ص ١٠١ عبد القادر الأنصارى: درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٣.

(٣) ابن خلدون: جـ ٤ ص ١٠٩.

سواه[1]، كما أبقى للفاطميين سيادتهم على المدينة بأن سار إليها سنة ٣٩٠هـ وأزال عنها إمرة بنى مهنى حين بلغه طعنهم فى نسب الفاطميين، لكنه لم يحتفظ طويلا بإمارة المدينة، فقد استعادها بنو مهنى بعد عودته إلى مكة ودخلوا منذ ذلك الوقت فى طاعة الفاطميين.

على أن أبا الفتوح أمير مكة لم يستمر على ولائه للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى، فقد خرج عليه سنة ٤٠٠هـ، الذى أغراه الوزير أبو القاسم حسين بن على بن المغربى بانتحال لقب الخلافة- وكان هذا الوزير ناقما على الحاكم بأمر الله لغدره بأبيه وأعمامه- لذلك عول على إضعاف شأنه، ففر من مصر إلى حسان بن مفرج ابن الجراح أمير طيئ بالرملة وحسن له خلع طاعة الحاكم، فاستجاب له وعهد إليه بالتوجه إلى أبى الفتوح أمير مكة ليفسده على الحاكم ويدعوه إلى الخلافة، فلما قدم الوزير أبو القاسم بن المغربى مكة أطمع أبا الفتوح فى الرياسة وحرضه على طلب الخلافة، كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الذى سيكون خير عون له على تثبيت سلطته، فرحب أبو الفتوح بهذه الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله، وأخذ ابن المغربى يدعو القبائل العربية من سليم وهلال وعوف بن عامر لمعونة أبى الفتوح، ثم سار من مكة قاصداً الرملة وبصحبته أبو الفتوح والعرب الذين أجابوا دعوته؛ فلما اقترب أبو الفتوح من الرملة تلقاه حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجوه العرب بالترحاب وترجلوا له

---

(١) عبد القادر الأنصارى: درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٤- ٢٠٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ ٢ ص ١٥٧.

وبايعوه بالخلافة ثم ساروا فى ركابه، ونزل أبو الفتوح فى دار حسان ونادى فى الناس بالأمان وأقيمت له الخطبة فى كثير من بلاد الشام(١).

لما وصل إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى نبأ خروج أبى الفتوح عليه وانتحاله لقب الخلافة وانحياز حسان بن مفرج بن الجراح والوزير أبى القاسم بن المغربى إليه استاء من ذلك وعول على إعادة نفوذه فى بلاد الحجاز وإضعاف شأن أبى الفتوح، فكتب إلى أبى الطيب ابن عم أبى الفتوح بتوليته الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بنى الحسن مالا لخذلان أبى الفتوح، كما تعهد بأن يدفع له خمسين ألف دينار عيناً ولكل فرد من إخوته سوى الهدايا والثياب التى بعثها إليهم، فانصرفوا عن أبى الفتوح ودخلوا فى طاعة الحاكم.

كذلك عمل الخليفة الفاطمى على استمالة حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التى بذلها، فانحرفوا عن أبى الفتوح، ولما أحس أبو الفتوح بخذلان بنى الجراح إياه وعدولهم عن رأيهم فى العمل على تقوية نفوذه، ركب إلى الوزير أبى القاسم بن المغربى وقال له: «أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى فى أيدى هؤلاء ينفقون سوقهم بى عند الحاكم ويبيعوننى بيعاً بالدراهم، فيجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى، وتسهل طرقى بالعودة إلى الحجاز، فإنى راض من الغنيمة بالإياب». ثم ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بخبر أولاده وموقفهم إزاءه وقال له: «أريد أن تبعث معى من يوصلنى إلى مكة ولا تحرجنى» فبعث معه جماعة من طيئ ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣هـ،

(١) عبد القادر الأنصارى: درر الفرائد المنظمة جـ ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

فتلقاه أتباعه وكاتب الحاكم واعتذر إليه، فقبل عذره وعفا عنه وأعاده إلى إمارته بمكة[١]. وعمل أبو الفتوح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم، كما نقش اسمه على السكة[٢].

لم يحاول الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بعد عودته إلى إمارة مكة الخروج على طاعة الفاطميين، بل احتفظ بسيادتهم فى هذا البلد المقدس، وصار يقيم الخطبة للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى؛ فلما توفى هذا الخليفة خطب لابنه الظاهر، كما خطب من بعده للمستنصر سنة ٤٢٧هـ. وظل أبو الفتوح موالياً للفاطميين حتى توفى سنة ٤٣٠هـ، وخلفه ابنه شكر الذى تمكن من بسط نفوذه على المدينة وأقام الدعوة للمستنصر فى الحرمين واستمر الحال على ذلك حتى توفى سنة ٤٥٣هـ[٣].

لم ينجب شكر بن أبى الفتوح الحسنى أولاداً يتولون إمارة مكة من بعده، فزال بوفاته نفوذ بنى سليمان بمكة وتقلد الحكم فيها رجل ليس من بيت الإمارة. وكان رئيس الهواشم إذ ذاك محمد بن جعفر بن أبى هاشم محمد قد عظم ذكره بين قومه، فحارب بنى سليمان بمكة سنة ٤٥٤هـ وأوقع بهم الهزيمة، وأخرجهم من الحجاز، فساروا إلى اليمن واستقل بإمارة مكة وأقام الخطبة للمستنصر بالله الفاطمى[٤].

---

(١) ابن خلدون: جـ ٤ ص ٤٧٤، عبد القادر الأنصارى: درر الفرائد المنظمة ص ٣٠٨.

(٢) المقريزى خطط جـ ٢ ص ٢٨٨.

(٣) دحلان: خلاصة الكلام فى أمراء البيت الحرام ص ١٨، ابن خلدون جـ٤ ص١٠٢.

(٤) ابن خلدون: جـ٤ ص ١٢٢.

لم يعمل الأمير محمد بن جعفر على الاحتفاظ بسيادة الفاطميين على مكة. فبدأ عهده بإقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى، ثم مالبث أن انحرف عنه وأمر بذكر اسم الخليفة القائم بأمر الله العباسى[١]. فلما علم بذلك المستنصر عهد إلى على بن محمد الصليحى داعيه باليمن سنة ٤٥٥هـ بإرسال حملة إلى مكة لاستعادة نفوذه عليها وللقضاء على الدعوة العباسية فيها[٢]. فسار الصليحى إلى مكة وعمل على استمالة أهلها إلى جانبه بما كان معه من الأموال[٣]، وتعاون مع أمير مكة فى نشر الأمن والطمأنينة فى هذا البلد المقدس؛ فطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار، وكسا الصليحى البيت الحرام بثياب بيض[٤].

على أن الأمير محمد بن جعفر لم يستمر طويلا فى إقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى، فإنه لما انقطع ما كان يرد إليه من مصر من الأموال بسبب الشدة العظمى التى حلت بالبلاد المصرية وأصبح فى حاجة إلى المال. أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح بابها والميزاب وصادر أموال أهل مكة وأمر بحذف اسم المستنصر من الخطبة، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى[٥]، وبعث إلى السلطان ألب ارسلان

(١) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٤ ص٢٧٠.

(٢) ابن خلدون جـ ٤ ص٢١٥.

(٣) Bulletin School of Oriental Studies.
(Letters of Al-Mustanoir Billah, Part V11. 1934 P.324).

(٤) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، أبو المحاسن: جـ ٥ ص٧٢.

(٥) ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان. القسم الثانى المجلد الأول ورقة ١٢١ ب.

السلجوقى حاكم بغداد رسولا سنة ٤٦٢هـ يخبره بإقامة الخطبة للخليفة العباسى وللسلطان بمكة وإسقاط اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة وتركه الأذان بحى على خير العمل؛ فبعث إليه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعاً نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال: «إذا فعل أمير المدينة مهنى كذلك أعطيته عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار[1]».

على أنه يظهر لنا مما ذكره أبو المحاسن[2] أن أمير مكة رغم قيامه بالدعوة للخليفة العباسى أبقى الأذان بحى على خير العمل وهو يعد من مظاهر المذهب الشيعى التى كانت سائدة إذ ذاك فى الأراضى الخاضعة لنفوذ الفاطميين، فقد أرسل إليه الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٤هـ الشريف أبا الطالب الحسن بمال وخلع وطلب منه هذا الرسول أن يلغى الأذان الشيعى فى مكة، فناظره الأمير مناظرة طويلة وقال له «هذا أذان أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فقال له أخو الشريف أبو طالب: ما صح عنه، وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روى أنه أذن به فى بعض أسفاره وما أنت وابن عمر، فأسقطه من الأذان».

كان الأمير محمد بن جعفر يتطلع إلى ضم المدينة المنورة إلى حوزته ليكون صاحب السيادة على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز فلما أمن جانب الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى بعد أن أقام لهما الخطبة فى مكة، وشغل عنه الخليفة الفاطمى بالعمل على استقرار الأمور

---

(١) ابن الأثير: جـ ١٠ ص ٢١، أبو المحاسن جـ ٥ ص ٨٤.

(٢) النجوم الزاهرة: جـ ٥ ص ٨٩.

في مصر، أعد جيشاً من الأتراك وزحف به إلى المدينة، فتغلب على بني مهنى من بني الحسين الذين كانت إليهم الرياسة بها وأخرجهم منها وأزال بذلك إمارتهم بالمدينة وجمع بين الحرمين[١].

ومما لاشك فيه أن الأمير محمد بن جعفر كان يرمي من وراء انحيازه إلى الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي العمل على توطيد سلطانه في بلاد الحجاز، فيقيم الدعوة للخليفة الذي يمده بالأموال، لذلك نراه حين توفي الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ، وانقطع ما كان يصل إليه من المال قطع الخطبة للعباسيين وأقامها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي[٢]. فلما أرسل إليه المقتدي بأمر الله العباسي الأموال أحل اسمه في الخطبة محل اسم الخليفة الفاطمي وظلت الخطبة تقام للعباسيين في مكة والمدينة إلى أن توفي الخليفة المقتدي سنة ٤٨٧هـ[٣].

لم يعمل محمد بن جعفر أمير مكة طيلة عهد إمارته على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة وإقرار الأمن بها على الرغم من المساعدات المالية التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحياناً ومن الخليفة الفاطمي أحياناً أخرى، بل أساء السيرة فيها وأصبح الحجاج في أواخر أيامه غير آمنين على أنفسهم[٤].

كذلك لم يبد من هذا الأمير ما يشعر برغبته في الاستقلال عن

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٤ ص ٢٧٠.

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٩٧.

(٣) ابن خلدون: جـ٤ ص ١٠٣، القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٠.

(٤) ابن الأثير: جـ ١٠ ص ٨٣.

الخلافة العباسية أو الفاطمية، بل دان لكل منها بالطاعة فى فترات متقاربة حتى وصفه أبو المحاسن[١] بأنه كان «متلونا تارة مع الخلفاء العباسيين وتارة مع المصريين (الفاطميين)».

وقد ظفر العباسيون بحظ وافر من السيادة على مكة فى عهد إمارة محمد بن جعفر بخلاف الفاطميين الذين شغلوا إذ ذاك بالعمل على توطيد سلطتهم فى مصر عن الاحتفاظ بسيادتهم فى الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز، وبذلك ظلت الدعوة العباسية قائمة فى مكة حتى توفى الأمير محمد بن جعفر سنة ٤٨٧هـ، وخلفه ابنه الأمير قاسم الذى حذا حذو أبيه فى إقامة الخطبة للعباسيين، وأرسل إليه الخليفة المستظهر وابنه المسترشد العباسى الخلع والأموال[٢].

لم تنعم مكة فى عهد الأمير قاسم بالهدوء والاستقرار، بل كانت الأحوال فيها مضطربة طوال المدة التى قضاها أميرا عليها وتبلغ ثلاثين سنة[٣]. مما يثبت لنا عجز هذا الأمير عن إقرار الأمن والعمل على إصلاح شئون إمارته.

لما توفى الأمير قاسم بن محمد بن جعفر الحسنى سنة ٥١٨هـ، خلفه ابنه فليته، فافتتح عهده بإقامة الخطبة للخليفة العباسى المسترشد وعمل على نشر العدل بين أهالى إمارته مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم؛ فأثنوا عليه وتمتعوا فى عهده بالرخاء والطمأنينة، كما حرص هذا الأمير

(١) النجوم الزاهرة: جـ ٥ ص ١٤٠.

(٢) ابن خلدون: جـ ٤ ص ٢٠٥.

(٣) ابن خلدون: جـ ٤ ص١٠٤.

على إظهار ولائه للخليفة العباسى المسترشد حتى توفى سنة ٥٢٧هـ، وولى إمارة مكة من بعده ابنه هاشم(١)، فلم يعمل على استمرار ذكر اسم الخليفة العباسى فى الخطبة، بل أقام الخطبة للخليفة الحافظ الفاطمى، مما أثار السيدة الحرة الصليحية صاحبة اليمن- وكانت إذاك تقيم الدعوة للإمام الطيب بن الخليفة الآمر الفاطمى- ولم تعترف بخلافة الحافظ الذى لم يكن يتمتع بصفة الإمامة التى يجب توافرها فى الخلفاء الفاطميين(٢) فأرسلت إلى هاشم أمير مكة تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة للحافظ، لكنها ما لبثت أن توفيت سنة ٥٢٣هـ. فكفاه الله شرها(٣).

على أن الدعوة لبنى العباس لم تقطع نهائيا فى عهد الأمير هاشم، بل أقيمت فى أيامه الخطبة للخليفة المقتفى، كما أن ابنه قاسم الذى آلت إليه إمارة مكة سنة ٥٤٩هـ حرص على ذكر اسم الخليفة المستنجد بالله العباسى فى الخطبة وحاول فى نفس الوقت التقرب إلى الخلافة الفاطمية فى مصر، فأوفد الشاعر عمارة اليمنى برسالة إلى القاهرة سنة ٥٥٤هـ

---

(١) راجع ماورد عن ولاة مكة من الهواشم العلويين فى:

(Zambaur, Manuel de Genealogie et de chronologie pour L' Histoire de L'Islam p.21).

(٢) كان الخليفة الآمر الفاطمى قد انجب ولدا سماه أبا القاسم الطيب وجعله ولى عهده، فلما قتل الخليفة بعد ذلك ببضعة أشهر سنة ٥٢٤هـ أخفى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر الذى لقب بالحافظ لدين الله أمر الإمام الطيب، وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلا لطفل مرتقب؛ غير أن الوزير أبا على احمد بن الأفضل ما لبث أن اعتقله، فظل فى سجنه إلى أن تآمر الإسماعيلية على اغتيال هذا الوزير فى المحرم سنة ٥٢٦هـ، وأخرجوا الحافظ من سجنه.

ابن ميسر: أخبار مصر ص ٧٢، ٧٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٣٩، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٨٨- ٨٩.

(٣) ابن خلدون: جـ ٤ ص ١٠٤.

وكان الخليفة الفاطمى إذ ذاك الفائر ووزيره الصالح طلائع بن رزيك، فأدى عمارة الرسالة ونظم قصيدة فى مدح الخليفة والوزير، نوه فيها بقدومه سفيراً من مكة المكرمة إلى القاهرة، ومن هذه القصيدة ننقل الأبيات الآتية[١]:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم

قربْن بعد مزار العز من نظرى حتى رأيت إمام العصر من أمم

ورحن من كعبة البطحاء والحرم وفداً إلى كعبة المعروف والكرم

حيث الخلافة مضروب سرادقها بين النقيضين من عفو ومن نقم

لم يمكث عمارة اليمنى طويلا فى مصر بعد أن تلقاه كل من الخليفة والوزير الفاطمى بالعطف والقبول، فسرعان ما عاد إلى مكة ومنها توجه إلى زبيد[٢] فى صفر سنة ٥٥١هـ، ثم رحل منها إلى بلاد الحجاز حيث أدى فريضة الحج وأوفده أمير الحرمين برسالة أخرى إلى الملك الصالح طلائع بن رزيك يعتذر فيها عن الأحداث التى ارتكبها جنده مع حجاج مصر والشام مع تعديهم عليهم وأخذهم أموالا منهم، فقدم عمارة للمرة الثانية إلى القاهرة حاملا رسالة أمير الحرمين واتخذ مصر موطنا[٣]، وصار من مشاهير شعراء البلاط الفاطمى فى عهد الخليفتين الفائز والعاضد[٤].

على أن هاتين السفارتين اللتين أرسلهما أمير مكة إلى الخليفة

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٧٥- ٤٨٦.

(٢) زبيد: مدينة من تهائم اليمن. القلقشندى. صبح الأعشى جـ ٥ ص ٩.

(٣) عمارة اليمنى: النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ص ٣١. ٤١- ٤٢.

(٤) حسن إبراهيم: الفاطميون فى مصر (حاشية رقم ١ ص ١٧٤).

الفاطمى الفائز ووزيره طلائع بن رزيك وإن دلتا على حرص هذا الأمير على اكتساب رضاء الخلافة الفاطمية، فإنهما لم تؤديا إلى إحلال النفوذ الفاطمى محل النفوذ العباسى، فقد ظلت الخطبة تقام فى الحرمين للخليفة المستنجد بالله العباسى حتى توفى الأمير قاسم بن هاشم سنة ٥٥٦هـ وولى بعده الأمير عيسى بن فليته الذى زالت فى عهده دولة الفاطميين فى مصر[١].

ومما لاشك فيه أن عدم استقرار الأمور فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى الذى تجلى فيه ازدياد نفوذ الوزراء واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء شجع الخلافة العباسية فى ذلك الوقت رغم ما كانت تعانيه من جراء ازدياد نفوذ السلاجقة على نشر نفوذهم فى كل من مكة والمدينة.

على أن الخلفاء الفاطميين ووزراءهم فى العصر الفاطمى الثانى لم ينصرفوا انصرافاً عن نشر الدعوة لهم فى بلاد الحجاز، بل إنهم رغم انكماش دولتهم فى هذا العصر حتى لم يبق فى حوزتهم غير مصر، فإنهم احتفظوا ببعض النفوذ فى الجزيرة العربية، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الدعوة الشيعية التى استمرت دون توقف على يد الدعاة الفاطميين[٢].

وعلى الرغم من أن ولاة مكة والمدينة اقاموا فى فترات مختلفة الدعوة لبنى العباس، فإنهم لم ينحازوا إلى الخلفاء العباسيين فى مناهضة الخلافة الفاطمية، بل حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين كلما أمكنتهم الفرص، وما ذلك إلا بتأثير الدعوة الشيعية التى بذل الدعاة

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧١.

(٢) Stanley Lance-Pole. A History of fEgypt in the middle ages pp. 117-118,123.

الفاطميون فى نشرها عناية كبيرة، كما أن الخلفاء الفاطميين من ناحيتهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى نشر الأمن والطمأنينة فى الأراضى المقدسة بالحجاز لتيسير سبل المعيشة على أهلها بما كانوا يرسلونه إليهم من الحبوب والأموال. لذلك لا نعجب إذا علمنا أن إقامة الخطبة للخلفاء الفاطميين لم تلق اعتراضاً من هؤلاء الأهالى الذين عرفوا بميلهم إلى المذهب السنى، كما أن أمراءهم احتفظوا فى كل من مكة والمدينة بكثير من مظاهر المذهب الشيعى التى كانت سائدة فى مصر فى العصر الفاطمى، وفضلا عن ذلك فإن انتماء أمراء مكة والمدينة إلى البيت العلوى كان له أثر كبير فى حرص هؤلاء الأمراء على التقرب إلى الخلفاء الفاطميين واكتساب رضائهم رغم المحاولات التى بذلها الخلفاء العباسيون لاستمالتهم إليهم وصرفهم عن الخلافة الفاطمية فى مصر.

وعلى الرغم من حرص الخلفاء العباسيين والفاطميين على بسط سيادتهم على الأراضى المقدسة بالحجاز، فإن التنافس بينهم لتحقيق هذه الغاية لم يقرن بمظاهر العنف، بل وجه كل منهم اهتمامه إلى إقامة الدعوة له فى تلك الأراضى بالطرق السلمية، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن العباسيين والفاطميين رأو ألا يتخذوا من الأراضى المقدسة بالحجاز ميدانا لإظهار ما بينهم من عداوة وبغضاء.

وقد رأى هؤلاء الخلفاء تحت تأثير الصعوبات التى واجهوها فى دولهم الاكتفاء بنشر سلطتهم الدينية فى بلاد الحجاز التى كانت تتمثل فى إقامة الخطبة لهم على منابرها، وكانوا يرجون من وراء تمتعهم بهذه السلطة توطيد أركان خلافتهم واستمالة العالم الإسلامى إلى جانبهم بعد أن

أصبح المسلمون ينظرون نظرة إجلال وتقدير إلى الخلفاء الذين يحتفظون بسيادتهم على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز.

وكانت سياسة الخلفاء الفاطميين موجهة بصفة خاصة إلى بسط سلطانهم على تلك الأراضى والقضاء على نفوذ العباسيين فيها ليثبتوا للعالم الإسلامى شرعية خلافتهم وأحقيتهم- تبعاً لذلك- فى رعاية الأراضى المقدسة.

ولاشك أن حرص الفاطميين على نشر نفوذهم فى بلاد الحجاز ونجاحهم فى هذا السبيل وإن جر عليهم منافسة العباسيين لهم، فإنهم جنوا من ورائه احترام العالم الإسلامى وتقديره، فقد برهنوا على قدرتهم على درء الأخطار عن تلك البلاد بعد أن صدوا القرامطة عن مكة ووجهوا اهتمامهم إلى العمل على حماية الأراضى المقدسة وتأمين الوافدين إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم.

ولم يكن لدى أمراء مكة والمدينة القوة التى تمكنهم من درء الأخطار عن بلاد الحجاز، كما أن موارد تلك البلاد كانت لا تكفى لسد حاجة أهلها؛ لذلك رأوا أنه من الخير لهم اكتساب صداقة الفاطميين والتقرب إليهم ماداموا يرعون حقوقهم فى الإمارة، ويمدونهم بما يحتاجون إليه من الأموال والغلال، غير أنه يؤخذ على هؤلاء الأمراء أنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الخاصة على مصلحة البلاد التى يتولون الإمارة عليها، فاستغلوا التنافس بين العباسيين والفاطميين على السيادة على بلاد الحجاز لإشباع مطامعهم، وصاروا يقيمون الخطبة للخلفاء الذين يواصلون إمدادهم بالأموال، ولا يعنون بإدخال ضروب الإصلاح فى بلادهم مما أدى إلى

إضعاف شأنها وتأخيرها مادياً وعلمياً حتى إن المقدسى[١] لما زار بلاد الحجاز فى القرن الرابع الهجرى وصفها بالفقر وقلة العلم[٢]، كما أن الرحالة الفارسى ناصر خسرو لاحظ حين زيارته مكة فى القرن الخامس الهجرى قلة سكانها، وقدر عددهم بألفين، وقال إن فريقاً من أهلها اضطروا إلى الرحيل عنها فراراً من المجاعات[٣].

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٠٣.

(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام ص ٣١٣.

(٣) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ٢ ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

أمراء مكة الأشراف[١]

السليمانيون والهواشم

(من منتصف القرن الرابع إلى نهاية القرن السابع الهجرى)

أبو محمد جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الثائر	٣٥٦هـ
حسن بن جعفر الحسنى[٢]	٣٥٨هـ
عيسى بن أبى محمد جعفر	٣٧٠هـ
أبو الفتوح الحسن بن أبى محمد جعفر	٣٨٠هـ
أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داود	٤٠١هـ
أبو الفتوح الحسن (المرة الثانية)	٤٠٣هـ
محمد شكر بن أبى الفتوح الحسن	٤٣٠هـ
حمزة وحّاش بن أبى الطيب داود	٤٥٣هـ
أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد (تاج المولى)	٤٦١هـ
أبو فليته القاسم بن محمد بن جعفر	٤٨٧هـ
فليته بن القاسم بن محمد بن محمد بن جعفر	٥١٨هـ
هاشم بن فليته بن القاسم	٥٢٧هـ
القاسم بن هاشم بن فليته	٥٤٩هـ
عيسى بن فليته بن القاسم	٥٥٦هـ
داود بن عيسى بن فليته	٥٧٠هـ
مكثّر بن عيسى بن فليته	٥٧١هـ
داود بن عيسى (المرة الثانية)	٥٧٢هـ

(١) Zambaur, Manuel de Genealogie et de chronologie pour L' Histoire de L'Islamp.21.

(٢) دعا للمعز بمكة سنة ٣٥٨هـ. انظر المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ١٤٦.

الفصل الثانى

السيادة الفاطمية فى بلاد البحرين

كان نفوذ العباسيين فى جزيرة العرب مهدداً من ناحية القرامطة[1] الذى نجحوا فى اقتطاع بلاد البحرين حيث كان أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى[2] أحد قوادهم يعمل على نشر دعوتهم بهذا الإقليم منذ سنة ٢٨٣هـ.وقد وجدت تعاليمه مرعى خصيبا لدى الأهالى وعلى الأخص الأعراب الذين كانوا دائما على استعداد للانضمام إلى أى حركة ثورية ضد العرب أو غيرهم مادامت تتيح لهم فرصة للسلب والنهب[3]

---

(١) القرامطة: طائفة سياسية اتخذت الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق اغراضها وسلاحا للوصول إلى ماتصبو إليه؛ وقد عرفت بذلك نسبة إلى احد دعاتها حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ويقال أنه سمي قرمط لقصر قامته ورجليه.

النويرى:نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ٢٢ ورقة٥٦

ويرى Lvanow فى كتابه (The rise of the Fatimids P:69) ان «كرامته كلمة معروفة عند اهالى بلاد العراق الجنوبية لم تستعمل فى العربية ومعناها الفلاح أو القروى ثم عربت إلى قرمط؛ وإن حمدان بن الأشعث عرف بهذا الاسم وسمى اتباعه باسمه».

(عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصر العباسى الثانى ص١٥٨)

(٢)الجنابى: نسبة إلى جنابة وهى بلدة على ساحل الخليج الفارسى (ياقوت: معجم البلدان جـ٣ ص١٤٢-١٤٣)

(٣) De LacyO'Leary.Ahort History of the Fatimid Khalif ate

وقد تمكن أبو سعيد الجنابى من الاستيلاء على مدينة هجر عاصمة بلاد البحرين بعد حصار دام سنتين واتخذ مدينة الأحساء[١] عاصمة لدولة القرامطة الجديدة التى أسسها سنة ٢٧٦هـ. وكان لهذه الدولة شأن كبير فى جزيرة العرب، فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على كثير من أرجائها، كما قامت بها حكومة ملكية وراثية فى بيت أبى سعيد يعاونها مجلس يتكون من اثنى عشر عضواً.وكان الحاكم هو القائد الأعلى للجيش وبيده كافة مقاليد الأمور، وله سلطة مطلقة. وكان العبيد يقومون بفلاحة أراضيها. أما سكانها من العرب فلم يكن لهم عمل سوى الخدمة فى الجيش[٢].

وقد وضع أبو سعيد نظاماً حربياً دقيقاً يستطيع بمقتضاه إعداد جيش قوى من رعاياه،فصار يجمع الأطفال فى دور خاصة وعين لهم قوماً يشرفون على مصالحهم وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، وأخذ يدربهم على ركوب الخليل واستخدام الأسلحة الحربية، فنشئوا نشأة عسكرية[٣].

كان أبو سعيد يطمع فى بسط سيادته على جزيرة العرب وسلخها عن الدولة العباسية، وقد أثارت مطامعه مخاوف الخليفة العباسى المعتضد فأرسل إليه جيشاً بقيادة العباس بن عمرو الغنوى بعد أن ولاه على اليمامة والبحرين سنة ٢٨٩هـ، فلقى هذا الجيش هزيمة فادحة ووقع العباس

---

(١) عرفت بهذا الاسم لما فيها من احساء المياه فى الرمال ومراعى الإبل (ابن خلدون: جـ٤ ص٩١)

(٢) Encyclopaedia of Religion S Ethics, Vol III p.225

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٢١٦

فى الأسـر، وما لـبث أن أطلق أبـو سـعـيد سـراحه وطـلـب مـنه أن يـبلـغ المعتـضـد هذه الرسـالة؛ ومما جاء فيـها: «هذا بلـد خارج عن يدك غـلبت عليه وقمت به، وكـان فىَّ من الفـضل ما آخذ به غيـره، فما عرضـت لما كـان فى يـدك، ولاهـممـت بـه، ولا أخفـت لك سـبـيلا، ولانـلـت أحداً مـن رعيتك بسوء؛ فتوجيهك إلىّ الجيوش لأى سبب؟ اعلم أنى لا أخرج عن هذا البـلد ولا توصل إلـيه، وفى هذه العـصابة التـى معى روح، فاكـفنى نفسـك ولا تتعرض لما لـيس لك فيه فـائدة، ولاتصل إلى مـرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر[1]»

فلما وقف المعـتضـد على ماتضـمنه حديث أبـى سـعيد قال : «صـدق ماأخـذت شيـئا كـان فى أيدينا» ، ثـم أطرق مـفكـراً وقال: «كـذب عدو الله الكـافر، المسـلمون رعـيتى حـيث كـانوا من بـلاد الله، والله لئن طـال بى العمر لأشـخصنّ بنفسـى إلى البصرة وجمـيع غلمانى، ولأوجـهن إليه جيـشاً كثيـفا فإن هـزمه وجهت جيـشا، فـإن هـزمه خـرجت فى جمـيع قوادى وجيشى إليه حتى يحكم الله بينى وبينه»

يتضح لنا من حـديث الخليفة المعتضد أنه مدرك حـقيقة الحال فى الدولة العـباسية، وأن بعض ولايـاتها ومن بينـها بلاد البـحريـن خرجت عن سلـطانه، وأن واجبه كخليـفة يحتـم عليه أن يـظل نفوذه سـائداً فى جمـيع البـلاد الإسلامـية. وقد بـلغ من حـنق المـعتضـد على أبـى سـعـيد ورغبتـه فى القضـاء علـيه أنه كان يذكره خـلال مرضه ويتلهـف ويقول: حـسـرة فـى نفـسى، كـنت أحـب أن أبلـغها قبـل موتـى، والله لقـد كنت

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص٢١٨

وضعت عند نفسى أن أركب ثم أخرج نحو البحرين، ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفى إلاضربت عنقه، وإنى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة[١]».

استطاع أبو سعيد بإقراره النظام فى بلاد البحرين وتدريبه أهلها على الأعمال الحربية أن يقيم دولة موطدة الأركان فيها، امتد نفوذها على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف[٢]. ولوطالت حياته لتيسر له مد سلطانه على جزيرة العرب بأكملها، لكنه اغتيل سنة ٣٠٢هـ على يد خادم له كان قد أخذه من الجيش العباسى، فخلفه ابنه سعيد الذى ظل يدبر أمور الدولة حتى ثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان وقتله وتقلد زمام الحكم فى دولة القرامطة، ثم جاءه كتاب بتوليته من عبيد الله المهدى مما يثبت لنا ولاء القرامطة فى بلاد البحرين للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب. وقد ترتب على ذلك قيام العلاقات الودية بين القرامطة والفاطميين واتحادهم فى سياستهم العدائية إزاء العباسيين، فطلب أبو القاسم بن المهدى سنة ٣٠٦هـ من أبى طاهر أن يحضر إلى مصر على رأس حملة ليعاونه على فتحها. لكن الجيش العباسى بقيادة مؤنس الخادم مالبث أن أوقع الهزيمة بجيش أبى القاسم قبل أن تصل إليه النجدة من أبى طاهر[٣].

كان أبو طاهر رجلا طموحا إلى المجد والعظمة. فقضى السنوات

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٢١٩

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٨ ص٢٧

(٣) ابن خلدون: جـ٤ ص٨٨-٨٩

الأولى من حكمه ينظم شئون دولته ويعد العدة للسيطرة على جزيرة العرب، كما وجه سياسته إلى تأييد عبيد الله المهدى فى عدائه للعباسيين[١]، فعمل على إشغالهم فى المشرق بحملاته التى وجهها إلى بلادهم حتى يتيح للمهدى توطيد نفوذه فى المغرب، فزحف على البصرة والكوفة، وبعد أن غنم منها مغانم كثيرة عاد إلى هجر[٢]، وفى سنة ٣١٦هـ تقدم أبو طاهر إلى بغداد وكادت تقع فى يده لولا دهاء مؤنس الخادم قائد الخليفة المقتدر الذى بعث بزواريق ملأى بفاكهة مسمومة، فلما أكل منها جند القرامطة مات منهم عدد كبير وارتد جيش أبى طاهر بعد أن تكبد خسائر فادحة[٣]. لكن هذه الهزيمة لم تفت فى عضده، فقام فى العام التالى بحملة جريئة اضطرب من أجلها العالم الاسلامى؛ ذلك أنه أغار على مكة فى ذى الحجة سنة ٣١٧هـ (يناير ٩٣٠م) فى عدد قليل، إذ كان معه ستمائة فارس وتسعمائة راجل، ونهب هو وأصحابه الحجاج وقتلوهم فى المسجد الحرام، وقلع باب البيت وقبة زمزم والحجر الأسود، وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة، وأقام الخطبة فى مكة لعبيد الله المهدى بدلا من الخليفة العباسى المقتدر ثم عاد إلى الأحساء حاملا معه الحجر الأسود[٤].

---

(١) حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٢٣٩

(٢) ابن الأثير: جـ٨ ص٤٥ و٤٩

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص٢٤٢

(٤) ابن الأثير جـ٨ ص٨١ وعبد القادر الأنصارى: درر الفرائد المنظمة جـ١ ص١٩٥-١٩٦

لم يقم أبو طاهر بهذه الفعلة الشنعاء- كما زعم أوليرى[١]- بناء على تعاليم سرية أرسلت إليه من القيروان الغرض منها الانتقام من أهل مكة لأنهم لم يخطبوا لعبيد الله المهدى، ودليلنا على ذلك أن اهتمام هذا الخليفة بإقامة الخطبة له لم يتضح إلا بعد أن فتح أبو طاهر مكة، كما أن عبيد الله المهدى أظهر استياءه من الأحداث التى ارتكبها أبو طاهر فى هذا البلد المقدس وكتب إليه ما نصه[٢] «والعجب من كتبك إلينا ممتنا علينا بما ارتكبته واجترمته باسمنا من حرم الله وجيرانه بالأماكن التى لم تزل الجاهلية تحرم إراقة الدماء فيها وإهانة أهلها، ثم تعديت ذلك وقلعت الحجر... وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشكرك، فلعنك الله ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل فى يومه ما عمل فيه حساب غده»[٣]، فبعث إليه أبو طاهر ردا على كتابه وعده فيه بأنه سيعمل على إعادة الحجر الأسود إلى بيت الله الحرام[٤].

لم يكتف أبو طاهر بمهاجمة مكة وإقامة الخطبة فيها للخليفة الفاطمى بل بسط سلطانه عليها وفرض على الحجاج سنة ٣٢٣هـ إتاوة يؤدونها إليه مقابل حمايتهم والمحافظة على أرواحهم[٥]. وبذلك

---

(١) AShort History of the Fatimid Khalifate. p86

(٢) عبد القادر الانصارى: درر الفوائد المنظمة جـ١ ص١٩٦

(٣) يرى أوليرى فى كتابه Ashort History of the Fatimd Khalifate. p85 أن عبيد الله المهدى ارسل هذا الخطاب لأبى طاهر لينفى عن نفسه أية مسئولية من جراء استحواذ القرامطة على الحجر الأسود وليظهر بمظهر المدافع عن شعائر الإسلام حتى يكتسب تقدير العالم الإسلامى.

(٤) ابن خلدون: جـ٤ ص٨٩

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٢٤٤

أصبحت الخلافة العباسية عاجزة عن حماية رعاياها من المسلمين وتأمين طريقهم إلى بلاد الحجاز. ولاشك أن ظهورها بهذا المظهر يضعف هيبتها أمام العالم الإسلامى وهو ما كان يرجوه ويعمل من أجله أبو طاهر ليمهد السبيل أمام أنصاره الفاطميين، ولاغرو فقد أعلن فى إحدى قصائده ولاءه للمهدى وأنه عول على القضاء على العباسيين وإعادة النفوذ إلى العلويين(١).

أغركم منى رجوعى إلى هجر فعما قليل سوف يأتيكم الخبر

إذا طلع المريخ من أرض بابل وقارنه كيوان فالحذر الحذر

فمن مبلغ أهل العراق رسالة بأنى أنا الموهوب فى البدو والحضر

ومنها:

فياويلهم من وقعة بعد وقعة تساقون سوق الشاة للذبح والبقر

ساصرف خيلى نحو مصر وبرقة إلى قيروان الترك والروم والخزر

ومنها:

أكيلهم بالسيف حتى أبيدهم فلا أبق منهم نسل أنثى ولاذكر

أنا الداع للمهدى لاشك غيره أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر(٢)

***

حرص القرامطة طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجرى على الاحتفاظ بعلاقتهم الودية مع الفاطميين ببلاد المغرب، كما سمحوا لهم بالتدخل فى تعيين امرائهم ، ذلك أنه لما توفى أبو طاهر سنة ٣٣٢هـ

---

(١) حسن إبراهيم: تاريخ الاسلام السياسى جـ٣ ص٣٣٩

(٢) أبو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٢٥ - ٢٢٦

عارض بعض رجال دولته فى تولية أخيه الأكبر أحمد بن سعيد الحسن- وكان أبو طاهر قد أوصى بأن يخلفه فى الحكم- ومالوا إلى تولية سابور بن أبى طاهر وكاتبوا الخليفة الفاطمى القائم فى ذلك، فجاءهم كتابه بولاية أحمد وأن يكون سابور ولى عهده(١)، فنفذت رغبته وتقلد أحمد زمام الحكم فى دولة القرامطة ببلاد البحرين وتلقب بأبى منصور وحذا حذو أخيه فى ولائه للفاطميين، فأعاد الحجر الأسود من الأحساء إلى مكانه بالكعبة سنة ٣٣٩هـ إجابة لطلب المنصور الفاطمى بعد أن ذهبت مجهودات الخلافة العباسية مع أبى طاهر بشأن استرداده هباء، فقد رفض رده مقابل خمسين ألف دينار من الذهب(٢)؛ وفى هذا دليل واضح على مدى خضوع القرامطة فى بلاد البحرين لسلطان الفاطميين.

ومما لاشك فيه أن قيام دولة القرامطة فى بلاد البحرين أثار فى وجه الخلافة العباسية كثيرا من المتاعب والمشاكل بجانب ماكانت تعانيه من ازدياد نفوذ الأتراك واستبداد البويهيين بالسلطة فى بغداد.وقد أدى انشغالها بصد غارات القرامطة عن أراضيها إلى ازدياد قوة الفاطميين فى بلاد المغرب، كما مهد السبيل لفتحهم مصر، فقد كانت غارات قرامطة البحرين على أراضى الدولة العباسية بالمشرق تتفق دائما مع الحملات التى وجهها عبيد الله المهدى إلى مصر(٣).

---

(١) ذكر De Goeje فى كتابه

Momoire sur Les Carmathes du Bahrian. P146

أن المنصور بن القائم هو الذى أصدر قرار تعيين أحمد بن الحسن بدلا من سابور

(٢) ابن خلدون: جـ٤ ص٨٩- ٩٠

(٣) De Goeje. Memoire sur Les cermathes du Bahrain et Les imides p.69.

وكان لاتحاد القرامطة مع الفاطميين فى نشر آراء المذهب الإسماعيلى أكبر الأثر فى صعود نجم العلويين فى القرن الرابع الهجرى، على حين بدأ أمر العباسيين فى الضعف، فبسط الفاطميون الذين يمثلون الخلافة العلوية سلطانهم على مصر وبلاد الشام وكثير من أرجاء جزيرة العرب، وكانت كل هذه البلاد تدين بالطاعة للعباسيين.

لم تتمتع دولة القرامطة فى بلاد البحرين بالهدوء والاستقرار فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى،فقد حدث نزاع بين أفراد اسرة أبى طاهر على العرش، فقبض سابور بن أبى طاهر على عمه احمد بن أبى سعيد الملقب بأبى المنصور سنة ٣٥٨هـ- وكان إذ ذاك يلى الحكم فى دولة القرامطة- غير أنه مالبث أن خرج من اعتقاله وقتل سابور ونفى إخوته وأشياعه إلى جزيرة أوال[١]، وانقسم القرامطة بسبب ذلك إلى فريقين: أحدهما بزعامة بيت أبى طاهر، وثانيهما بزعامة بيت أحمد بن سعيد وعلى رأسه ابنه الحسن الملقب بالأعصم الذى آلت إليه إمارة بلاد البحرين بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٩[٢]هـ.

عول الحسن بن احمد على ضبط الأمور فى بلاده فنفى جمعا كثيرا من ولد أبى طاهر إلى جزيرة أوال حتى بلغ ماجتمع بها منهم نحوا من ثلثمائة، وظل يلى الحكم إلى سنة ٣٦٧[٣]هـ.

---

(١) جزيرة بناحية البحرين. ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص٣٦٥

(٢) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٣٤٥

(٣) ابن خلدون: جـ٤ ص٩٠

على أن الحسن بن أحمد اتبع سياسة طائشة إزاء الفاطميين، فعمل على مسالمة الخليفة العباسي فى بغداد الذى أمده بالمال والسلاح لمعاونته على محاربة الفاطميين،كما لم يعترض أثناء وجوده بمكة على إقامة الخطبة للمطيع العباسى مما يدلنا على انحرافه عن الفاطميين[١]. وقد كلفته هذه السياسة الجديدة ثمنا غاليا، فبعد أن كان أسلافه من أمراء القرامطة يحرصون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الفاطميين فى بلاد المغرب، انقلب إلى محارب لهم، بل راغب رغبة أكيدة فى القضاء عليهم، ذلك أنه بعد أن استولى الجيش الفاطمى بقيادة جعفر بن فلاح الكتامى على دمشق طالب الحسن بن أحمد بالضريبة التى كان يدفعها له الأخشيديون[٢] ، فرفض الفاطميون أداءها إليه، ومن ثم ناصبهم العداء[٣]. ويعتقد جاستون فييت[٤] أن قطع الإتاوة كان عذرا وهميا لقطع العلاقات بين القرامطة والفاطميين، ويقول إنه من المحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى أن الفاطميين الذين ملكوا بلاداً غنية أرادوا القضاء على القرامطة حتى لا يذيعوا بين الناس أن الفاطميين من نسلهم وحتى لايطمعوا فى سلب ما استحوذ عليه الفاطميون.

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ١٧٨

(٢) أغار القرامطة على بلاد الشام سنة ٣٥٧هـ وعجز الأخشيديون عن صدهم، واضطر الحسن ابن عبيد الله بن طغج الأخشيد والى هذه البلاد إلى الاتفاق معهم على أن يؤدى إليهم إتاوة سنوية قدرها ثلاثمائة ألف دينار.

المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٢٤٧ - ٢٤٨

(٣) ابن خلدون: جـ ٤ ص ٩٠

(٤) Histoire de Ls Nation Egytienne p.101-102

رأى الفاطميون بعد أن تبدلت صلة المودة بينهم وبين قرامطة بلاد البحرين بتأثير السياسة التى سار عليها الحسن بن أحمد أن يعملوا على إضعاف شأنهم بإثارة النزاع بينهم، فأرسل المعز لدين الله الفاطمى إلى أتباع أبى طاهر وبنيه الذين أبعدوا إلى جزيرة أوال يخبرهم بأحقية أبى طاهر فى حكم القرامطة. فلما علم بذلك الحسن ابن أحمد أمر بحذف اسم المعز من الخطبة فى بلاده وإقامة الدعوة للمطيع العباسى، ولبس السواد شعار العباسيين، ثم زحف على دمشق سنة ٣٦٠هـ ودارت بينه وبين جند الفاطميين عدة معارك انتهى الأمر فيها باستيلائه على تلك المدينة[١]. ولم تلبث جيوش الحسن بن أحمد أن زحفت إلى مصر، وهددت مدينة القاهرة التى حصنها جوهر الصقلى بخندق عظيم حفره حولها ، ولما دارت رحى الحرب أمام القاهرة أبدى الجنود المصريون الذين انضموا إلى جيش جوهر شجاعة فائقة استرعت انتباه المؤرخين وأثارت دهشتهم[٢] فتمكنوا من الوقوف فى وجه القرامطة وتقهقر الحسن بن أحمد بجنده ورحل إلى الأحساء[٣] سنة ٣٦١هـ.

بيد أن هذه الهزيمة التى لحقت القرامطة لم تكن خاتمة النضال بينهم وبين الفاطميين،فقد لبثوا قوة يخشى بأسها، ذلك أن الحسن بن أحمد أخذ فى التأهب للقتال من جديد ، فلما نزل المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة

---

(١) ابن خلدون: جـ٤ ص٩٠

(٢) Stanley Lane-poole, AHistory of Egypt in the Middle Ages p.107

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٢٥٠

بعد قدومه من المغرب كتب إليه يذكره بولاء أسلافه وآبائه للأئمة الفاطميين، وأن دعوة القرامطة كانت إليه وإلى آبائه من قبل[1] فقال له: أما كان لك بجدك أبى سعيد أسوة، وبعمل أبى طاهرقدوة؟ أما نظرت فى كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم؟ أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم؟ الم تعلم أنهم كانوا عبادا لنا أولى بأس شديد وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد، يفيض إليهم موادنا، وتنشر عليهم بركاتنا، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل أمير ووال، ولقبوا بالسادة فسادوا، منحة منا واسماً من أسمائنا، فعلت أسماؤهم واستعلت هممهم واشتد عزمهم، فسارت إليهم وفود الآفاق وامتدت نحوهم الأحداق، وخضعت لهيبتهم الأعناق، وخيف منهم الفساد والعناد، وأن يكونوا لبنى العباس أضداد.فعبثت الجيوش، وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة، والعدد المهذبة، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش إلاكسروه، ولا رئيس إلا أسروه، ولاعسكر إلاكسروه، والحاظنا ترمقهم، ونصرنا يلحقهم كما قال الله عز وجل: (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) (وإن جندنا لهم الغالبون).

وقد نوه المعز فى خطابه أيضا بانتشار الدعوة الفاطمية فى كثير من أرجاء العالم الإسلامى،فقال :«..ومع هذا فما من جزيرة فى الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا، ويدلون علينا، ويأخذون بيعتنا، ويذكرون رجعتنا، وينشرون علمنا، وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن، وفى كل جزيرة وإقليم

---

(١) ابن الأثير: جـ٨ ص٢١١

رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون وهو قول الله عز وجل: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم). وأنت عارف بذلك. فياأيها النكث الحانث: ما الذى أرداك وصدك؟ أشىء شككت فيه أم أمر استربت به، أم كنت خلياً من الحكمة وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك عن السبيل ردك؟ إن هى إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين؛ وايم الله لقد كان الأعلى لجدك، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجدك، والأوسع لوفدك، والأنضر لعودك، والأحسن لعذرك، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك، والقفو لآثارهم وإن عميت لديك لتجرى على سننهم..»

كذلك أظهر المعز فى كتابه استياءه من ميل الحسن بن أحمد إلى إقامة دعوة بنى العباس، فقال: « لم تقنع فى انتكاسك وترديتك فى ارتكاسك، وارتباكك وانعكاسك، من خلافك الآباء ومشيك القهقرى، والنكوص على الأعقاب، والتسمى بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، وعصيانك مولاك وجحدك ولاك، حتى انقلبت على الأدبار، وتحملت عظيم الأوزار، لتقيم دعوة درست ودولة قد طمست، إنك لمن الغاوين، وإنك لفى ضلال مبين، أم تريد أن ترد القرون السالفة، والأشخاص الغابرة؟ أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس؟ وآخر المتاريس فى الناس ، أما تراهم (كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية) ختم والله الحساب ، وطوى الكتاب، وعاد الأمر إلى أهله، والزمان إلى أوله؛ وازفت الآزفة، ووقعت الواقعة، وقرعت القارعة، وطلعت الشمس من مغربها، والآية من وطنها، وجئ بالملائكة والنبيين،

وخسر هنالك المبطلون.هنالك الولاية لله الحق، والملك لله الواحد القهار، فلله الأمر من قبل ومن بعد...»

وفى نهاية الكتاب طلب المعز من الحسن بن أحمد أن يختار إحدى خصال ثلاث- عرضها عليه- ويعمل على تنفيذها، وتوعده بسوء العاقبة. فقال: « ونحن معرضون ثلاث خصال- والرابعة أردى لك وأشقى لبالك، وما أحسبك تحصل إلا عليها- فاختر: إما قدت نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير- وهى أسهل ما يرد عليك - وإما أن تردهم أحياء فى صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم - ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار- وإما سرت ومن معك بغير ذمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت، وأجزيكم على إحدى ثلاث: إما قصاص، وإما مناً بعد، وإما فداء، فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك وإقالة لعثرتك، وإن أبيت إلا فعل اللعين: (فاخرج منها فإنك رجيم* وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)، اخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيه، وقيل اخسئوا ولا تكلمون، فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، فلاسماء تظللك، ولا أرض تقلك ، ولاليل يجنك؛ ولانهار يكنك؛ ولاعلَم يسترك، ولا فئة تنصرك[1]»

لم يكتف المعز بإرسال هذا الكتاب إلى الحسن بن أحمد ، بل أتبعه بعزله عن إمارة القرامطة، كما بعث إلى بنى أبى طاهر يحرضهم

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٢٥٨-٢٦٥

على الخروج عليه ويؤيد أحقيتهم فى الولاية على بلاد البحرين؛ فخرجوا من جزيرة أوال ونهبوا الأحساء فى غيبة الحسن بن أحمد، غير أن الخليفة العباسى الطائع مالبث أن كتب إليهم بالتزام الطاعة وأن يصالحوا ابن عمهم (الحسن بن أحمد) ويقيموا بجزيرة أوال وبعث من عقد الصلح بينهم[١].

لم يكترث الحسن بن أحمد بتهديد المعز له وعزله إياه، وأساء فى رده، فكتب إليه « وصل كتابك الذى قل تحصيله وكثر تفصيله، ونحن سائرون إليك على أثره، والسلام[٢]» ثم زحف على مصر سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م) وتوغلت جنوده فى الأراضى المصرية،كما تقدمت القوة الرئيسية من جيشه نحو القاهرة، لكنه عجز للمرة الثانية عن الاستيلاء على تلك المدينة وتقهقر بجيوشه إلى بلاد البحرين ونجح الفاطميون فى استرداد بلاد الشام.

على أن النفوذ الفاطمى لم يستقر طويلا فى تلك البلاد فقد استطاع أفتكين التركى الاستيلاء على دمشق سنة ٣٦٥هـ؛ وكتب إلى الحسن بن أحمد يستنجده. فسار إليه من الأحساء وتمكنت قواتهما من إحراز بعض الانتصارات فى بلاد الشام،فلما بلغ ذلك العزيز بالله الفاطمى زحف من القاهرة على رأس حملة كبيرة وأوقع بقوات أفتكين والقرامطة الهزيمة، وبهذا النصر الذى أحرزه الفاطميون توطدت أقدامهم فى بلاد الشام، وجلا عنها القرامطة إلى بلادهم.

---

(١) ابن خلدون:جـ٤ ص٩٠

(٢) ابن الأثير جـ٨ ص٢١١

قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد سنة ٣٦٧هـ كما أنهم أنكروا سياسته العدائية إزاء الفاطميين ومبايعته الخليفة العباسى، وعمل أتباع أبى طاهر على إقصاء ولد أبى سعيد عن الإمارة، ثم استقر الرأى على أن يتولى الحكم فى بلاد البحرين اثنان من سادتهم وهما جعفر وإسحق[١]؛ فسارا على السياسة التى اتبعها أمراء القرامطة قبل تولية الحسن بن أحمد من إقامة الدعوة الفاطمية ومحاربة بنى العباس[٢].

عاد قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد إلى القيام بحملات على أراضى الدولة العباسية؛ فأغاروا على الكوفة سنة ٣٧٥هـ وأدى ذلك إلى انزعاج أهلها لما عرف به القرامطة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس؛ فبعث إليهم صمصام الدولة سلطان بنى بويه جيشاً أوقع بهم الهزيمة على نهر الفرات، وتعقبهم إلى القادسية[٣]؛ وبذلك تيسر للبويهيين إخراجهم نهائيا من بلاد العراق.

ضعف القرامطة منذ أواخر القرن الرابع الهجرى حتى لم يبق لهم إلا ولاية صغيرة على الشاطئ الشرقى للجزيرة العربية لا تستطيع

---

(١) ذكر (ابن الأثير جـ٨ص ٢٢٨) أنه تولى أمر القرامطة بعد وفاة الحسن بن أحمد ستة نفر اشتركوا جميعا فى الحكم وسموا السادة.

(٢) ابن خلدون:جـ٤ ص٩١

(٣)ابن الأثير:جـ٩ص١٤-١٥

(٤) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص١٣٢، الحضارة الإسلامية فى القران الرابع الهجرى جـ٢ ص٥٦

قطع الطريق على الحجاج، ولكن كان لها على باب البصرة ديوان صغير لأخذ الضرائب[١].

كذلك أدى التنافس على الرياسة بين كل من جعفر وإسحق إلى التعجيل باضمحلال دولتهم فى بلاد البحرين وزوالها فى نهاية القرن الرابع الهجرى؛ يقول ابن خلدون[١]: « وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصغر بن أبى الحسن الثعلبى سنة ٣٩٨هـ عليهم وملك الأحساء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه»

كان يقيم ببلاد البحرين بجانب القرامطة كثير من قبائل العرب ومن أشهرهم بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم ، كثيراً ما استنجد بهم القرامطة على أعدائهم واستعانوا بهم فى حروبهم. وقد حدثت بينهم وبين هؤلاء العرب عدة منازعات أدت فى بعض الأحيان إلى اشتعال نار الحرب بين الفريقين.

كان بنو ثعلب اكثر العرب المقيمين ببلاد البحرين عدداً، واظهرهم عزة، فاستولى زعيمهم الأصغر بن أبى الحسن الثعلبى على تلك البلاد بعد أن انحل أمر القرامطة وانقرض الملك من أسرة الجنابى، ولكن الأمور لم تستقر فى بلاد البحرين بسبب المنازعات التى قامت بين القبائل العربية؛ فقد استعان بنو ثعلبة ببنى عقيل على بنى سليم وطردوهم من

---

(١) العبر وديوان المبتدا والخبر جـ٤ ص٩١.

تلك البلاد، فساروا إلى مصر ومنها رحلوا إلى أفريقية ثم حدث خلاف بين بنى ثعلب وبنى عقيل انتهى الأمر فيه بخروج بنى عقيل إلى العراق فأقاموا دولة بإقليم الجزيرة.

ولم تقف أطماع الأصغر زعيم بنى ثعلب عند حد بسط سلطانه على بلاد البحرين، بل سرعان ماتغلب على الجزيرة والموصل وهزم نصير الدولة بن مروان صاحب ميافرقين ودياربكر، كذلك نجح الأصغر فى جعل الحكم وراثيا فى بنيه من بعده ببلاد البحرين، فظلوا يتولون الأمور فيها حتى ضعف أمرهم وانقرضوا، وخلفهم فى حكم هذه البلاد بنو عقيل الذين عادوا إلى ديارهم، بعد أن تغلب عليهم السلاجقة فى الجزيرة[1]. وقد ذكر أبو سعيد صاحب كتاب المغرب فى حلى المغرب أنه سأل أهل البحرين حين قابلهم بالمدينة المنورة سنة ٦٥١هـ عن بلادهم، فقالوا: الملك فيها لبنى عامر بن عوف بن عامر بن عقيل، أما بنو ثعلب فأصبحوا من جملة رعاياهم.

---

(١) ابن خلدون: جـ٤ ص٩١-٩٢.

الفصل الثالث

الدعوة الفاطمية فى اليمامة وعمان

١ - اليمامة: كانت اليمامة[١] من بين ولايات جزيرة العرب التى تدين بالطاعة للعباسيين حتى منتصف القرن الثالث الهجرى حيث استولى عليها فى أيام المستعين بالله العباسى محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب. واتخذ الحضرمة حاضرة له[٢]، فأقام باليمامة دولة علوية عرفت باسم دولة بنى الأخيضر، استقل بها عن الخلافة العباسية التى بدأت مظاهر الضعف والانحلال تظهر عليها منذ ذلك الوقت بسبب ازدياد نفوذ الأتراك واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء.

لم يلق محمد الأخيضر عناء كبيراً فى إقامة دولته باليمامة، واستطاع أن يوطد نفوذه فيها ويجعل الحكم وراثياً فى أبنائه من بعده، وكان له من الأولاد محمد وإبراهيم وعبد الله ويوسف، ولما توفى خلفه يوسف الذى أشرك معه ابنه إسماعيل فى إدارة شئون اليمامة طيلة حياته، ثم انفرد إسماعيل بولاية اليمامة بعد وفاة أبيه.

---

(١) يحدها من جهة الشرق بلاد البحرين ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز ومن الجنوب نجران، ومن الشمال نجد والحجاز.

القلقشندى صبح الأعشى جـ٥ ص ٥٨.

(٢) ابن حزم الأندلسى: جمهرة أنساب العرب ص ٤١.

وقد وجه كل من رستم بن الحسين بن حوشب وعلى بن فضل وهما من دعاة الإسماعيلية فى اليمن أنظارهما إلى اليمامة بسبب قيام دولة بنى الأخيضر العلوية بها، واعتقدا أن أهلها سيرحبون بالدعوة الفاطمية، لذلك بعثا إليها بالدعاة لنشر المذهب الإسماعيلى(١)، كما بعثا دعاة آخرين لنفس هذا الغرض إلى بلاد البحرين والسند والهند ومصر والمغرب(٢).

لم يزل بنو الأخيضر يتولون الملك باليمامة حتى طمع قرامطة بلاد البحرين فى بسط سلطانهم على جزيرة العرب، فتغلبوا على اليمامة فى أوائل القرن الرابع الهجرى، كما أخضعوا مكة وعمان لسلطانهم، وبذلك زالت دولة بنى الأخيضر(٣).

على أن نفوذ القرامطة فى اليمامة ما لبث أن ضعف بعد زوال دولتهم فى بلاد البحرين، ولم يبذل خلفاء بنى العباس أى محاولة لاستعادة سلطانهم عليها، فاستقل بإدارتها زعماء العرب المقيمين بها وعلى الأخص من قيس عيلان(٤).

---

(١) عرف بذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. وكان أتباعه يعرفون بالإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة تعتقد أن الإمامة انتقلت بعد النبى ﷺ إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم تنقلت فى بنى الحسين إلى جعفر الصادق، ويدعون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم تنقلت فى بنيه (القلقشندى: صبح الأعشى جـ١ ص ١١٩ - ١٢٠).

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٦٨.

(٣) ابن خلدون جـ٤ ص ٩٨ - ٩٩.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى جـ٥ ص ٦٠.

٢- عمان: كانت عمان من بين الولايات الإسلامية بجزيرة العرب التى تدين بالطاعة للعباسيين فى أواخر القرن الثالث الهجرى. وقد تزعم الحكم فيها فى عهد الخليفة المعتضد بنو شامة بن لؤى بن غالب ففتح محمد بن القاسم الشامى عمان بمعاونة هذا الخليفة ثم وليها من قبله وأقام الخطبة فيها لبنى العباس، ونجح فى جعل الحكم وراثياً فى أبنائه من بعده. على أن الضعف والانحلال ما لبثا أن أصابا إمارتهم بسبب الخلاف الذى قام بينهم سنة ٣٠٥هـ، فلحق بعضهم بالقرامطة فى بلاد البحرين وظل الاضطراب سائداً فى ولايتهم حتى تغلب عليها سنة ٣١٧هـ أبو طاهر القرمطى، وخطب بها لعبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب[١]، وبذلك دخلت عمان فى حوزة دولة القرامطة ببلاد البحرين وصار ولاتها يعينون من قبلها.

لم يكن نفوذ القرامطة موطداً فى عمان؛ فقد استقل بالحكم فيها يوسف بن وجيه، وحاول توسيع رقعة إمارته، فسار على رأس حملة بحرية يريد البصرة، وكاد يستولى عليها لولا ما حل بسفنه من جراء الحريق الذى دبره بعض أعوان بنى البريدى الذين استقلوا بالبصرة والأهواز وواسط فى عهد الخليفة المتقى. ومضى يوسف بن وجيه صاحب عمان هاربا فى أوائل سنة ٣٣٢هـ[٢] ولم يتمتع طويلا بالحكم بعد هذه الهزيمة، فقد ثار فى وجهه مولاه نافع وتغلب عليه ثم تقلد زمام الأمور بدلا منه؛

---

(١) ابن خلدون جـ٤ ص ٩٣.

(٢) ابن الأثير: جـ٨ ص ١٢٠.

ودخل فى طاعة معز الدولة بن بويه وخطب له على المنابر وضرب اسمه على الدينار والدرهم[١].

انتهز القرامطة فرصة عدم استقرار الأمور فى عمان، فتغلبوا عليها سنة ٣٥٤هـ وهرب نافع منها بعد أن وثب به أهل عمان، لكنهم لم يستأثروا بالنفوذ فيها؛ فقد استقر رأى أهلها على أن يولوا عليهم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان، فولى إمارة عمان بعد أن كان ممتنعاً عن تقلدها، واتخذ على بن أحمد كاتبا - وكان يكتب للقرامطة من قبل.

بدأ الأمير عبد الوهاب عمله بمنح الجند أرزاقهم، وكانوا طائفتين إحداهما من البيض والثانية من الزنج، فلما فرغ كاتبه على بن أحمد من توزيع المرتبات على البيض قال للزنج - وكانوا ستة آلاف رجل - إن الأمير عبد الوهاب أمر لكم بنصف ماوزع على البيض، فامتعضوا لذلك وثاروا ضده؛ لكنه ما لبث أن استمالهم إليه بقوله «هل لكم أن تبايعونى فأعطيكم مثل سائر الأجناد؟» فأجابوه إلى ذلك وبايعوه، فسواهم فى العطاء مع البيض مما أدى إلى تذمر البيض وقيام الحرب بينهم وبين الزنج، فلما كانت الغلبة للزنج هدأت الفتنة فى عمان واستقر على بن أحمد فى إمارتها بعد عزل الأمير عبد الوهاب[٢].

رأى معز الدولة بن بويه أن الفرصة سانحة له للاستيلاء على عمان بعدما وصل إليه من أنباء الفتن والاضطرابات التى ثارت فيها، فسار من واسط إلى الأبلة وهناك أعد حملة بحرية لفتحها سنة ٣٥٥هـ، وأسند

(١) ابن الأثير: جـ٨ ص١٨٦.

(٢) بن الأثير: جـ٨ ص١٨٦ - ١٨٧، ابن خلدون: جـ٤ ص٤٤٣ - ٤٤٤.

قيادتها إلى أبى الفتوح محمد بن العباس، وطلب من عضد الدولة بفارس أن يمده بالعساكر فوافاهم المدد بسيراف(١)، ثم سارت المراكب حاملة الجند إلى عمان، فتغلبوا عليها وأقيمت الخطبة فيها لمعز الدولة، وتولى حكمها أبو الفرج بن العباس نائبا عنه(٢).

لما توفى معز الدولة غادر عمان إلى بغداد نائبه أبو الفرج بن العباس وبعث إلى عضد الدولة يطلب منه أن يتسلمها، فتولى أمرها عمر بن نهبان الطائى، وأقام الدعوة لعضد الدولة؛ غير أن الزنج مالبثوا أن تغلبوا على عمان، وقتلوا ابن نهبان وولوا عليهم رجلا يعرف بابن حلاج؛ فلما علم بذلك عضد الدولة أرسل إليهم جيشاً بقيادة أبى حرب طغان، ودارت بينه وبين الزنج معركة حامية بصحار – قصبة عمان – انتهى الأمر فيها باستيلاء أبى حرب على هذه البلدة وانهزم أهلها سنة ٣٦٢هـ.

على أن نفوذ عضد الدولة لم يتوطد رغم ذلك فى عمان، فقد اجتمع بجبالها كثير من الخوارج وولوا ورد بن زياد أميراً عليهم، كما جعلوا حفص بن راشد خليفة لهم واشتدت شوكتهم فبعث إليهم عضد الدولة حملة بقيادة المطهر بن عبد الله الذى تمكن بعد أن نزلت جنوده بأرض عمان من التغلب على الثائرين وأسر كثيراً من رؤسائهم وظل يتتبعهم حتى أوقع بهم وقعة أتت على بقاياهم واضطر خليفتهم إلى مغادرة عمان والإقامة ببلاد اليمن؛ وبذلك استقرت الأمور لعضد الدولة بعمان

---

(١) سيراف. تقع على ساحل الخليج الفارسى (ياقوت: معجم البلدان).

(٢) ابن خلدون. جـ٣ ص ٤٢٥، جـ٤ ص ٤٤٣ – ٤٤٤، ٤٥٠.

ودانت له بلادها بالطاعة[١].

كان بنو مكرم من وجوه عمان الذين استعان بهم البويهيون فى إدارة شئون دولتهم، وتولى بعضهم الإمارة فى عمان وأقاموا الخطبة لبنى العباس، ولما ضعفت دولة بني بويه ببغداد استبد بنو مكرم بالسلطة فى عمان وتوارثوا الحكم فيها. وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم الذى ولى الإمارة سنة ٤١٨هـ واستطاع بحسن إدارته، وجوده وكرمه أن يجعل الحكم وراثياً فى أبنائه من بعده[٢].

ولما توفى الأمير أبو القاسم سنة ٤٢٧هـ خلفه ابنه أبو الجيش، فاستغل ضعفه قائد جنده على بن هطال واستأثر بكثير من النفوذ وأوقع الفرقة بينه وبين أخيه المهذب الذى انتهى أمره باعتقاله وقتله؛ ثم توفى بعد ذلك بقليل أبو الجيش؛ فحاول على بن هطال أن يولى أخاه أبا محمد، فأخفته أمه حتى لا تتيح له فرصة التخلص منه وطلبت إليه أن يتولى بنفسه إمارة عمان، فرحب بذلك، غير أنه ما لبث أن استبد بالسلطة وصادر التجار واستولى على كثير من أموال الأهالى.

ولما وصل إلى أبى كاليجار سلطان بنى بويه فى العراق ما قام به على ابن هطال من الأعمال التى سببت تذمر أهالى عمان، عول على إقصائه عن الإمارة، فأمر وزيره العادل أبا منصور أن يكاتب المرتضى الذى كان نائباً

---

(١) ابن الأثير: جـ٨ ص ٢١٣ – ٢١٤، ابن خلدون:، جـ٤ ص ٤٥٠.

(٢) ابن خلدون: جـ٤ ص ٩٣.

لأبى القاسم بن مكرم بجبال عمان ويطلب إليه محاربة ابن هطال، كما جهز العساكر من البصرة لمساعدته، فسافر المرتضى إلى عمان وحاصرها وتمكن من الاستيلاء على أكبر أعمالها ودس لابن هطال من اغتاله؛ ثم بعث الوزير العادل أبو منصور رسولا من قبله إلى عمان ولى أبا محمد بن مكرم الإمارة سنة ٤٣١هـ(١).

على أن أسرة بنى مكرم ما لبثت أن ضعفت وزال ملكها بعمان وتولى أبو المظفر بن أبى كاليجار البويهى إمارة هذه البلاد، لكنه عجز عن إدارة شئونها بنفسه واستأثر بالسلطة خادم له، وأساء التصرف فى الأموال مما أثار كراهة الأهالى وتذمرهم. ولما وقف ابن راشد – وكان من زعماء الخوارج المقيمين بجبال عمان – على ما وصلت إليه الحال فى البلاد من جراء ضعف الأمير أبى المظفر واستبداد خادمه بالأمور دونه، دعا أتباعه وسار على رأسهم لمحاربة أبى المظفر، غير أن الهزيمة حلت بابن راشد والخوارج. فعادوا إلى محل إقامتهم، وأخذ ابن راشد يعد العدة ويحشد الجموع للتخلص من إمارة أبى المظفر. ولما تهيأ لمحاربته سار إليه وأعانه أهل البلاد بسبب كراهتهم للديلم وبذلك تيسر له الانتصار على أبى المظفر سنة ٤٤٢هـ، وقبض على زمام الأمور فى البلاد، فبدأ حكمه بالعمل على إقامة العدل، كما أسقط المكوس على جباية عشر ما يرد إلى الأهالى، وأمر بذكر اسمه فى الخطبة وتلقب بالراشد بالله(٢).

---

(١) ابن الأثير: جـ٩ ص ١٦١ – ١٦٢.

(٢) ابن الأثير: جـ٩ ص ١٩٥، ابن خلدون: جـ٤ ص ٤٨٩ – ٤٩٠.

لم تستقر الأمور فى عمان بعد أن ولى حكمها الخوارج، كما تفككت عرى وحدتها، فقامت فى بعض بلادها الواقعة على الخليج الفارسى إمارة مستقلة تقلد زمام الحكم فيها زكريا بن عبد الملك الأزدى سنة ٤٤٨هـ وكان الخوارج يدينون لأسرته بالطاعة[١]. ومن ذلك يتبين انحلال النفوذ العباسى فى عمان وعجز بنى بويه عن الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الإمارة، كما أن السلاجقة الذين استبدوا بالسلطة فى بغداد فى منتصف القرن الخامس الهجرى شغلوا عنها بالعمل على توطيد نفوذهم فى العراق ومد سلطانهم على بلاد المشرق.

كانت الدولة الفاطمية فى مصر ترقب الاضطراب السائد فى عمان وتحرص على الإبقاء على دعوتها التى قام دعاتها بنشرها فى هذا القطر منذ أواخر القرن الثالث الهجرى، فلما وصل إلى المستنصر بالله الفاطمى ضعف النفوذ العباسى فى عمان وثورة رجالها ضد الهيئة الحاكمة فيها بعث إلى المكرم أحمد الذى ولى الملك فى بلاد اليمن بعد وفاة أبيه على بن محمد الصليحى خطاباً فى ربيع الثانى سنة ٤٦٩هـ طلب إليه فيه القيام بإدارة شئون ولاية عمان والعمل على استتباب الأمن فيها رغم أنها لا تدخل فى نطاق دولته[٢].

وفيما يلى بعض ما جاء فيه[٣]: «من عبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، إلى الملك الأجل، الأوحد،

---

(١) ابن خلدون: جـ٤ ص ٩٢.

(٢) Bulletin School of Oriental Studies (Letters of Al - Mustaneir Billah). 1934, Vol VII. Part2. p.322.

(٣) السجلات المستنصرية رقم ٥٤ ص ١٧٦ - ١٧٩.

المنصور العادل، المكرم، عمدة الخلافة... ، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين... أبى الحسن أحمد...، أما بعد: فإن أمير المؤمنين لما يعلمه من خلوص طاعتك وضميرك، بحسن الطريقة فى سياستك وتدبيرك... وإن آثارك فيما إليك من الأعمال مأثورة، ومقاماتك فى نصرة الدين والإصابة بالدعوة العلوية معروفة مشهورة...، ولقد جدد السيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، أبو النجم المستنصرى... فى هذا الحين ذكرك بالحضرة، وشيد مالك لديها من الاصطفاء والأثرة...، ولما انتهى إلى حضرة أمير المؤمنين حال (مدينة عمان) وما جرى فيها من الغلاء والفساد...، والمروق عن أحكام الملة الدينية...، وقد كان غدق أمر الحرم المحروس وأعماله بولايتك، ووكله إلى تدبيرك وسياستك، بحكم كون الأعمال اليمنية والحجازية واحدة فى الاهتمام بأحوالها، ولقرب أعمالك من أعمالها..، رأى أمير المؤمنين..، أن يضيف إلى ذلك وما يجرى فى نظرك ولاية مدينة عمان، لكونها أيضا لأعمالك مجاورة..، وخذ كافة الرجال والمستخدمين بوظائف الخدمة، والمسارعة إلى كل مهمة، وصيانة الأعمال الدانية والقاصية، وتثبيت قانون الخدمة. فإن أمير المؤمنين باسط يدك فى جميعهم لتثبيت من ترتضى طريقته، وتستبدل من ترى الصواب إلى الاستبدال به، وأمير المؤمنين يشعرك ما طالع به حضرة الأمير مستخلص الدولة العلوية وعدتها: عبد الله بن على العلوى المستقر بالأحساء ...، وأنه اعتمد إقامة الدعوة العلوية، وناضل كافة الأعداء من الخوارج ...، وأصاب بالدعوة المستنصرية فى

أرجائها...، واقتضى ذلك نفوذ السجل من حضرة أمير المؤمنين مضمناً إحماد خدمته..».

وكانت بلاد اليمن إذ ذاك تبعث إلى عمان والهند بالدعاة لنشر الدعوة الفاطمية، كما أنه كان بهذين القطرين أنصار كثيرون يؤيدون المذهب الإسماعيلي الذى تحرص الدولة الفاطمية على نشره، فلما ورد إلى المستنصر عدة خطابات منهم تتضمن وفاة دعاته ورغبتهم في أن يزود بلادهم بدعاة غيرهم، بعث إلى المكرم أحمد كتابا فى ربيع الأول سنة ٤٧٦هـ أخبره بموافقته على تعيين مرزبان بن إسحق داعيا بالهند، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر داعيا بعمان.

ويتجلى لنا حرص الخليفة الفاطمى على تعيين الدعاة بهذين القطرين من قوله[1]: «... فأما ما ذكرته من أمر الدعوة الهادية بالهند وجزائرها، وعمان وعملها، وفقد المتولين لها...، ووردت مكاتبات إلى أمير المؤمنين من هناك يلتمسون استخدام من يجمع شملهم ويثقفون به - بعد من فقدوه - ميلهم، وسؤالك تقليد الرئيس: مرزبان بن إسحق بن مرزبان الهند وجزائرها، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر عمان وعملها، لما وصفته من ديانتهما، وحميد أثرهما ومذهبهما، فقد وقف أمير المؤمنين على ما شرحته، وتقدم بإصدار ملطفين عن حضرته إلى المذكورين بتقليدهما، من مجلس السيد الأجل، أمير الجيوش، وجميع ذلك واصل بإذن الله بوصول هذه الإجابة...»

(١) السجلات المستنصرية رقم ٦٣ ص ٢٠٥ .

كما أرسـل المستنصر فى أواخر سـنة ٤٨١هـ خطابا إلى السـيدة الحرة التى آل إليها الملك ببلاد اليمن أخبرها بموافقته على تعيين أحمد ابـن مرزبان داعيا بالـهند بـعد وفـاة والده، وأبـدى ارتـياحـه لاختـيارهـا حمـزة بن سـبط حـميـد الديـن ليـقوم بمـعاونـة الداعـى أحمـد فى نـشر الدعـوة الفـاطمية ببـلاد الهـنـد، ونوه المـستـنصر فـى خطـابه بثـقتـه فى المجهـودات التى تقـوم بها السـيدة الحرة فـى سبيل نـشـر الدعوة لـه فى كل من بلاد اليمن وعمان والهند[١].

ومما ورد فـيه[٢] «من عـبـد الله ووليـه: مـعد أبـى تمـيـم الإمـام المسـتنـصر بـالله، أميـر المؤمـنين إلـى الحـرة المـلكـة، السـيدة، السـديـدة، المخلصـة ....، ولية أمـير المؤمنـين ... أدام الله تمكـينـها ونعمـتها ... أما بـعد : فإنـه عرض بـحضـرة أمير المـؤمـنين كتـابك المضـمـن وفاة داعيه بالـهـند: غرس الديـن، ولـى أمـير المؤمنين، مرزبـان، وأنه خـلف ولديـن ذوى دين وتـقية واسـتصلاح لـلخدمة. وأن المـومـأ إليه مـنهـما أحمـد الأكبـر لتميـيزه وحمـيد طـريقـته،....، ثـم شـفـعت ذلـك بما اعـتمـده إسـماعـيل بن إبـراهـيـم الـداعـى بعمـان من الـتخـلى عـن الخـدمة....، وأن سـبط حـميد الـدين خـلـف ولـداً يسـمـى حـمزة يصـلح للاسـتخدام عوض المذكـور؛...، وأحمـد الله تنبـهك عـلى هـذه المصـالح وتفـقـدك أحوال الـدعوة فى (تلـك) الأطـراف والـنواحى ... وأوعز أمـير المؤمنين إلى فتاه السـيد الأجل، أميـر جيوشه ... بإصـدار التقـليدين عن مـجلـس نـظره بـاسـم كـل مـن الـداعـيين المذكـورين....، وأنت

(١) (B.S.O.S.), 1934 Vol. VII Part2, p.321,324

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٥٠ ص ١٦٧ – ١٦٩.

قد جعل إليك أمير المؤمنين النظر فى تلك البلاد والأعمال ومراعاة دعاتها وانتظام حال الدعوة فيها...».

يتضح لنا مما تقدم إلى أى حد عنيت الخلافة الفاطمية بنشر دعوتها فى عمان، وكيف أصبح لهذه الدعوة أنصار كثيرون بتلك الولاية. ولا شك أن الدولة الفاطمية كانت ترمى من وراء بث الدعوة بعمان إلى تحقيق سياستها فى بسط سلطانها على أقطار جزيرة العرب؛ ليتيسر لها بذلك إضعاف الخلافة العباسية والقضاء عليها.

الفصل الرابع

النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن

دخلت بلاد اليمن فى حوزة العباسيين بعد أن انتقلت إليهم الخلافة وصار الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم، واتخذوا صنعاء حاضرة لهم، غير أن الأمور لم تستقر استقراراً تاماً فى هذه البلاد، فلما بلغ المأمون اضطراب الأمن فيها وذيوع الدعوة الشيعية بين أهلها، عول على أن يختار لولايتها رجلا يستطيع أن يقضى على عوامل الفساد فيها؛ فأشار عليه الحسن بن سهل بأن يسند إلى محمد بن إبراهيم الزيادى ولاية اليمن؛ فولاه عليها سنة ٢٠٣هـ ولم يمض عام واحد على هذا الوالى حتى اختط مدينة زبيد واتخذها حاضرة له[١]، وأخذ منذ ذلك الوقت يوطد نفوذه فى جميع أرجاء بلاد اليمن؛ فدخلت فى طاعته حضرموت والشحر وديار كندة ولحج والتهايم[٢]؛ ومازال نفوذه فى ازدياد حتى أصبح فى مقام الملوك المستقلين لكنه مع ذلك احتفظ بولائه للخلافة العباسية وصار يقيم الخطبة لبنى العباس ويرسل إليهم الخراج والهدايا كل عام[٣].

نجح محمد بن إبراهيم الزيادى فى جعل ولاية اليمن وراثية فى أبنائه تدين بالطاعة للعباسيين، فلما توفى ٢٤٥هـ خلف ابنه إبراهيم، ثم

(١) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٣.

(٢) ابن خلدون: جـ٤ ص ٢١٢.

(٣) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٤.

تولى بعده ابنه زياد، غير أن هذا الوالى لم يمكث طويلا فى الحكم واعقبه فى ولاية اليمن ابنه أبو الجيش إسحق، فظل يلى أمورها حتى بلغ الثمانين من عمره.

أخذت الدولة الزيادية فى بلاد اليمن فى الانحلال، فى أواخر عهد الأمير أبى الجيش إبراهيم، فخرج بصنعاء أسعد بن أبى يعفر، وثار بصعدة يحيى بن القاسم الرسى الملقب بالهادى[١]، وكان يدعو للزيدية – أتباع زيد بن على زين العابدين – ؛ ولما عظم نفوذه وكثر أنصاره زحف على صنعاء، فاستولى عليها من يد أسعد بن يعفر، غير أن بنى أسعد ما لبثوا أن استردوها منه، فعاد إلى صعدة وأسس فيها دولة بنى الرسى. وهكذا أصبح فى بلاد اليمن ثلاث دويلات: إحداها فى زبيد، والثانية فى صنعاء، والثالثة فى صعدة[٢].

كان لضعف الدولة الزيادية أثر كبير فى نجاح الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن، ففى الوقت الذى تفككت فيه عرى وحدة هذه الدولة بعث محمد الحبيب إمام الإسماعيلية بسلمية[٣] كلا من على بن الفضل اليمانى

---

(١) ورد نسبه فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٨ على الوجه الآتى: يحيى بن الحسين ابن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب.

Kay, Yamen, Ita Early Mediaeval Hkstory p:242.

(٢) صعدة: بلدة على ستين فرسخا من صنعاء (القلقشندى: صبح الأعشى جـ٥ ص ٤٢).

(٣) بلدة من أعمال حماه وكانت تعد من أعمال حمص ياقوت: معجم البلدان.

وأبى القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى إلى تلك البلاد لينشر الدعوة للمهدى من آل محمد، فلما وصلا إلى اليمن سنة ٢٦٨هـ[١] أخذا فى بث دعوتهما. ثم بنى ابن حوشب حصنا بجبل لاعة وأعد جيشاً زحف به على صنعاء وأخرج منها بنى يعفر، كما بعث الدعاة إلى جميع أرجاء اليمن فنشروا الدعوة الإسماعيلية بين أهلها، وتمكن بمعاونتهم من التغلب على كثير من بلادها[٢].

لما رأى ابن حوشب الذى عرف بمنصور اليمن أن دعوته إلى المهدى لقيت قبولا لدى كثير من أهالى بلاد اليمن، كتب إلى محمد الحبيب وابنه عبيد الله بسلمية يخبرهما بما فتح من البلاد كما بعث إليهما بالأموال والهدايا، فسرهما ذلك[٣].

على أن محمد الحبيب لم يكتف بنجاح تلك الدعوة فى بلاد اليمن بل حرص أيضاً على نشرها فى بلاد المغرب؛ فأرسل أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعى إلى ابن حوشب وأمره بالدخول فى طاعته والاقتداء بسيرته، على أن يرحل بعد ذلك إلى المغرب لينشر بها الدعوة الإسماعيلية. فقدم أبو عبد الله على ابن حوشب وصار من كبار أصحابه. ولما اتصل بابن حوشب نبأ وفاة الداعيين أبى سفيان والحلوانى فى بلاد المغرب، عهد إلى أبى عبد الله الشيعى بالقيام بالدعوة إلى المهدى فى تلك البلاد. فخرج أبو عبد الله إلى مكة، ثم رحل منها قاصداً بلاد المغرب، وأخذ ينشر بين أهلها الدعوة الإسماعيلية ويتحدث

---

(١) Kay, Yamen fts Early Mediaoval History p.225.

(٢) ابن خلدون جـ ٤ ص ٣٠ – ٣١، المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٦٧ – ٦٨.

(٣) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٢٧ – ٢٨.

إليهم عن قرب ظهور المهدى من آل على بن أبى طالب، وظل أبو عبد الله موالياً للإمام محمد الحبيب يرسل إليه رسله وهداياه[١].

كان محمد الحبيب قد عهد لابنه عبيد الله بالإمامة من بعده وقال له: «إنك ستهاجر بعدى هجرة وتلقى محناً شديدة»، فلما توفى خلفه فى إمامة الإسماعيلية، فواصل القيام بنشر الدعوة لنفسه، وبذل الأموال الكثيرة فى سبيل نجاحها.

كان دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن إذ ذاك يعتقدون أن دولة المهدى ستظهر فى بلادهم، كما حرص رؤساؤهم على أن يكون قيامها على أيديهم، وكذلك كانت الحال بالنسبة لدعاة الإسماعيلية فى بلاد المغرب، فكانوا يرجون قدوم المهدى إليهم لإقامة دولته المنشودة. فأرسل كبيرهم أبو عبد الله الشيعى إلى عبيد الله وهو بسلمية وفداً من رجال كتامة يدعوه للقدوم إلى بلاد المغرب. يقول المقريزى[٢]: «وسير أبو عبد الله إلى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وأنه ينتظره، فوافوا عبيد الله بسلمية من أرض حمص».

كان الخليفة المكتفى العباسى فى ذلك الوقت قد وصله - نبأذيوع الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن والمغرب، فعهد إلى بعض رجاله بتعقب حركات عبيد الله والقبض عليه[٣]، فخرج عبيد الله هارباً من سلمية بعد مقابلته وفد كتامة ووقوفه على مدى نجاح دعوته فى بلاد المغرب، وأخبر

(١) ابن الأثير: جـ٨ ص ١٠ - ١١، المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٦٨ - ٦٩ - ٧٤ - ٧٧.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ٢ ص ١١.

(٣) ابن خلدون جـ٤ ص ٣٣.

بعض أتباعه أنه سيقصد اليمن. يقول جعفر الحاجب الذى صحبه عند رحيله من سلمية «وأمرنا المهدى بالأخذ فى أهبة السفر والخروج معه وأظهر لنا أنه يريد اليمن»[١].

على أن عبيد الله المهدى لم يكن راغباً رغبة أكيدة فى إقامة دولته ببلاد اليمن، بل أزمع الرحيل إلى بلاد المغرب منذ خرج من سلمية تلبية للدعوة التى وجهها إليه داعيته أبو عبد الله الشيعى؛ يؤيد ذلك ما قاله ابن الأثير[٢]: «وشاع خبره عند الناس أيام المكتفى، فطلب وهرب هو وولده أبو القاسم نزار، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب»؛ وفضلا عن ذلك فإن عبيد الله المهدى كان حريصاً على تحقيق رغبة أبيه فى إقامة دولته بالمغرب؛ فقال له حين بلغه نجاح ابن حوشب فى نشر الدعوة إلى المهدى فى اليمن: «هذه دولتك قد قامت، لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب[٣]».

ومما لاشك فيه أن عبيد الله المهدى كان يحرص الا يقع فى قبضة العباسيين الذين بثوا رجالهم لاستقصاء أخباره، لذلك عول على إخفاء حقيقة الجهة التى سيقصدها، وقال لبعض أتباعه إنه سيذهب إلى اليمن؛ رغبة منه فى الا تصل أخبار هربه إلى العباسيين الذين كانوا إذ ذاك يبذلون قصارى جهدهم للقضاء عليه.

---

(١) اليمانى: سيرة جعفر الحاجب ص ١١٠ (مجلة كلية الآداب ديسمبر ١٩٣٦).

(٢) الكامل فى التاريخ: جـ ٨ص ١٢.

(٣) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص٤٢.

أما ما ذكره ابن خلدون[١] والمقريزى[٢] عن توجه عبيد الله المهدى إلى المغرب وعدوله عن إقامة دولته فى بلاد اليمن بسبب ما بلغه عن انحراف على بن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية وإساءته السيرة فى بلاد اليمن بما نشره من آراء أفسدت عقول فريق من أهلها، فلا يستند إلى أدلة صحيحة؛ لأن المتتبع لرحلة المهدى من سلمية إلى مصر، ثم إلى بلاد المغرب يتضح له أنه لم يفكر فى الذهاب إلى بلاد اليمن، كما أن مناهضة على بن الفضل للدعوة الإسماعيلية لم تظهر إلا بعد أن استقر الأمر لعبيد الله المهدى فى بلاد المغرب؛ ولو أن عبيد الله المهدى كان حريصاً على إقامة دولته فى بلاد اليمن لما ثناه عن ذلك خروج على ابن الفضل على دعوته لأن داعيه ابن حوشب ظل مواليا له وصار له أنصار كثيرون بين أهالى بلاد اليمن يرحبون بقدوم المهدى إليهم ويعتقدون بصحة إمامته، فإذا ما قصد بلادهم دخل الجميع فى طاعته والتفوا حوله.

كان عبيد الله المهدى يصحب عند خروجه من سلمية داعى دعاته فيروز، فلما وصل إلى مصر وشرع فى الرحيل منها إلى المغرب شق ذلك على فيروز، وتخلف عن السير معه، ومضى إلى اليمن حيث استقبله ابن حوشب بمظاهر الحفاوة والاحترام، لما كان يتمتع به من مكانة خاصة عند المهدى، وقد تحدث فيروز عن مهمته فى بلاد اليمن، فقال: إن الإمام بعث به مشرفا عليه إلى أن يقوم من المغرب بجنده إلى مصر ويكتب إليه ليمده بالعساكر من أهل اليمن[١].

---

(١) جـ ٤ ص ٦٩

(٢) اتعاظ الحنفا ص٦

(٣) اليمانى: سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب- ديسمبر ١٩٣٦) ص ١١٤- ١١٥.

على أن ابن حوشب ما لبث أن وقف على الأسباب التى حملت فيروز على القدوم إلى اليمن حين وصله كتاب من المهدى مقرونا بكتاب الداعى أبى على- صهر فيروز- الذى كان إذ ذاك يقوم بنشر الدعوة الفاطمية فى مصر، وقد تضمن هذان الكتابان كيف انصرف فيروز عن المهدى ورحل إلى اليمن مغاضبا له. وكان المهدى يخشى عاقبة خروج فيروز عليه، لذلك أمر ابن حوشب فى كتابه بالعمل على التخلص منه.

لما وصل إلى فيروز ما تضمنه الكتاب الذى بعثه المهدى إلى ابن حوشب ولى هاربا، ولم يزل ابن حوشب يتابع البحث عنه حتى بلغه خبر اتصاله بعلى بن الفضل، وأنه فتنه عن الدعوة الإسماعيلية ودعاه إلى نفسه، فخرج إليهما وحاربهما مدة طويلة[١].

كانت الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن فى حاجة إلى توحيد جهود كل من ابن حوشب وعلى بن الفضل فى سبيل نشرها، لكن على بن الفضل لم يتعاون مع ابن حوشب تعاونا صادقا لتحقيق هذه الغاية، بل كثيراً ما استقل عنه فى نشر تلك الدعوة.

كذلك لم يكن على بن الفضل مخلصا فى ولائه لعبيد الله المهدى، فوقع تحت تأثير فيروز الذى أغراه بقبول دعوته، كما طمع فى الاستقلال ببلاد اليمن بعد أن استقرت له الأمور فى كثير من أرجائها، وخلع طاعة عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى فى بلاد المغرب، فبعث إليه ابن حوشب رسالة يعاتبه فيها ويذكره بما كان من رعاية محمد الحبيب لهما، وقيامه

---

(١) اليمانى: سيرة جعفر الحاجب ص ١١٥.

بأمرهما وقال له: «كيف تخلع طاعة من لم تنل خيراً إلا به، وتترك الدعاء له، أو ما تذكر ما بينك وبينه من المواثيق والعهود[١]»: فلم يعبأ ابن الفضل بقوله وكتب إليه: «إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها[٢]».

لم يكتف ابن الفضل بخروجه على عبيد الله المهدى، بل ثار أيضاً على ابن حوشب طمعاً في استخلاص بلاد اليمن لنفسه، فأعد جيشاً كبيراً لمحاربته: ودار بين الفريقين قتال عنيف، ولما اشتدت وطأته على ابن حوشب، أرسل إلى على بن الفضل في طلب الصلح، فاشترط أن يبعث إليه أحد أبنائه ليكون ذلك دليلا على دخوله في طاعته، فأجابه ابن حوشب إلى طلبه وأرسل إليه ولده، فأبقاه ابن الفضل عنده سنة ثم رده إليه[٣].

لم يؤد هذا الصلح إلى عودة الوفاق بين ابن حوشب وعلى بن الفضل سيرته الأولى، بل ظل كل منهما يعمل مستقلا عن الآخر، مما ساعد على إضعاف الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن، كما أن عبيد الله المهدى رغم حرصه على بسط سيادته على تلك البلاد لم يوجه اهتمامه إلى وضع حد لهذا النزاع الذى قام بين ابن حوشب وعلى بن الفضل، بل تركهما وشأنهما، ولعل انشغاله بتوطيد دعائم خلافته في بلاد المغرب هو الذى حمله على الانصراف عنهما.

ظل ابن حوشب حريصاً على ولائه لعبيد الله المهدى حتى توفى

(١) ابن المؤيد اليمني: أنباء الزمن في أخبار اليمن ورقة ٣١.

(٢) الحمادى اليماني: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٣.

(٣) الحمادى اليماني: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٥ - ٣٦.

سنة ٣٠٢هـ. أما على بن الفضل فإنه منذ خلع طاعة عبيد الله المهدى لم يعدل عن خطته فى العمل على الاستئثار بالنفوذ فى بلاد اليمن مما أثار ضده السنيين وأنصار المهدى، ولم يتمكن فى النهاية من التغلب على هذين الفريقين والانفراد بالزعامة فى بلاد اليمن؛ وبذلك لم تتحقق مطامعه، بل فشل فى تكوين حزب قوى يكون عوناً له على نشر دعوته، فلما توفى سنة ٣٠٣هـ لم يجد ابنه الذى ولى الأمر من بعده أنصاراً أقوياء يدرءون عنه خطر السنيين فى بلاد اليمن، فتعرض لهجومهم، ووقع إخوته أسرى فى أيديهم، وما زالوا يتتبعون أعوانه حتى قضوا عليهم[١].

ظل للدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن أنصار كثيرون بفضل ما بذله ابن حوشب من مجهود فى سبيل نشرها، وبلغ من اهتمامه بأمرها أن أوصى قبيل وفاته سنة ٣٠٢هـ كلا من ابنه أبى الحسن وتابعه عبد الله بن عباس الشاورى بأن يستمرا فى إقامة الدعوة لعبيد الله المهدى وأهل بيته؛ وقال فى وصيته: «قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحتفظاه ولا تقطعا دعوة بنى عبيد.. فنحن غرس من غرسهم، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه، ولا تم لنا فى الرياسة حال، فعليكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم، وأوصيكما بطاعة المهدى.. حتى يرد أمره بولاية أحدكما ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه[٢]».

(١) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٦- ٣٩.

(٢) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٩.

كان عبد الله بن عباس الشاورى يطمع فى الاستقلال بأمر الدعوة فى بلاد اليمن، فكتب إلى عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب يخبره بوفاة ابن حوشب، كما أبلغه أنه يقوم بأمر الدعوة له وسأله الولاية وعزل ولد ابن حوشب[١]. ولما كان أبو الحسن ولد ابن حوشب يرى أحقيته فى أن يخلف أباه فى القيام بأمر تلك الدعوة، لذلك رحل إلى بلاد المغرب، حيث قابل المهدى وطلب منه أن يقلده محل أبيه، ورجاه ألا ينزع هذا الأمر من إخوته، غير أن المهدى لم يجبه إلى طلبه لأنه أقر قبيل قدومه عليه عبد الله بن عباس الشاورى فى القيام بأمر دعوته؛ فعاد أبو الحسن إلى بلاد اليمن دون أن تتحقق رغبته[٢].

وليس من شك فى أن عبيد الله المهدى أثبت بتدخله فى تولية عبد الله بن عباس الشاورى إلى الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن وإقصائه أولاد ابن حوشب عنها ما كان يتمتع به من نفوذ فى بلاد اليمن، كما أنه حرص على اختيار من يثق به ليكون عوناً له على نشر دعوته فى تلك البلاد، وخاصة بعد أن ضعف أمرها من جراء النزاع الذى قام بين كل من على بن الفضل وابن حوشب.

على أن تولية عبد الله بن عباس الشاورى أمر الدعوة الفاطمية فى اليمن لم تلق ارتياحا من نفس أبى الحسن ولد ابن حوشب على الرغم مما أظهره ابن عباس الشاورى من شعور طيب نحوه ونحو أخويه جعفر

(١) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص١٥٠.

(٢) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠.

وأبى الفضل وإكرامه إياهم وترحيبه بمقابلتهم فى أى وقت شاءوا دون أن يعترضهم حجابه[١].

وقد أدى حرمان أبى الحسن من رياسة الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن إلى إضماره السوء والعداوة لابن عباس الشاورى الذى قبح رأيه وزجره وقال له «أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سوانا فى هذا الأمر»، فأجابه بقوله: «والله لا تركته يتنعم فى ملك عنى به غيره؛ ونحن أحق به منه»، فقال له أخوه جعفر: «إن أمرنا إذن يتلاشى ويزول ملكنا وتفترق هذه الدعوة ويذهب الناموس الذى نمسناه[٢] على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك»، فلم يلتفت أبو الحسن إلى قوله أخيه جعفر وعول على التخلص من ابن عباس، وما لبث أن قتله غدراً وولى الأمر من بعده[٣].

لم يعمل أبو الحسن بعد أن تقلد ما كان يليه أبوه ابن حوشب على نشر الدعوة الفاطمية، بل انقلب معاديا لها، حريصا على القضاء عليها بعد أن كان من أنصارها، فارتد عن المذهب الإسماعيلى واعتنق مذهب أهل السنة، وجمع العشائر وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه، فأحبه الناس ودانوا له بالطاعة[٤].

(١) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك وطبقات الموالى والملوك ص ١٥١.

(٢) نمس السر: كتمه، ونمس بين القوم أفسد وأغرى (حسن إبراهيم وطه شرف: كتاب عبيد الله المهدى حاشية رقم ٢ ص ٢٣٨).

(٣) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠.

(٤) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص١٥١.

كان لخروج أبى الحسن على الدعوة الفاطمية أسوأ الأثر فى نفس أخيه جعفر الذى عارضه فى سياسته وقبح رأيه وقال له: «قطعت يدك بيدك»، فلم يكترث بقوله، وخرج جعفر من بلاد اليمن مغاضبا له وقصد بلاد المغرب رغبة منه فى الاتصال بعبيد الله المهدى وإخباره بمناهضة أخيه للدعوة الفاطمية، فوجده قد توفى وخلفه ابنه القائم سنة ٣٢٢هـ؛ فأقام عنده.

مضى أبو الحسن فى سياسته التى اختطها لنفسه والتى كان من أثرها أن فرقت بينه وبين أخيه جعفر، دون أن ينظر إلى عاقبتها الوخيمة عليه فأخذ يتتبع أنصار أبيه من الإسماعيلية تتبعاً مقروناً بالشدة والعسف، أدى إلى تفرقهم وقتل الكثيرين منهم؛ غير أن بعض الإسماعيلية فى اليمن استطاعوا النجاة من اضطهاده، كما حرصوا على كتمان أمرهم حتى لا يتعرضوا لإيذائه وولوا عليهم رجلا منهم- وكان لا ينقطع عن مكاتبة الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب-[1] مما يثبت لنا أن الدعوة الفاطمية لم يقض عليها فى بلاد اليمن، وأنه لم يزل لها أنصار يرجون سيادتها على الرغم مما لاقوه من عنت واضطهاد.

لم يجن أبو الحسن ثمرة مناهضة الدعوة الإسماعيلية وخروجه على طاعة الخلافة الفاطمية، فإنه فضلا عن انقسام أهل بيته وما ترتب عليه من انصراف كثير من أنصاره عنه، لم يلق من أنصاره الجدد من السنيين تأييداً يكون عوناً له على نجاح هذا الانقلاب الذى أحدثه، بل شكوا فى إخلاصه رغم ارتداده عن المذهب الإسماعيلى، وتآمره عليه

---

(١) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠.

وقتلوه، وتتبع السنيون من أهالى بلاد اليمن الغربية أولاده وحريمه، فقتلوا الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم، وبذلك قضوا على اسرة ابن حوشب[١].

لما توفى أبو الحسن، طمع إبراهيم بن عبد الحميد الشيعى- وكان من كبار الإسماعيلية فى بلاد اليمن- فى أن يتقلد ما كان يليه من البلاد، فأعلن ارتداده عن المذهب الإسماعيلى وأقام الخطبة لبنى العباس[٢]. ولم يزل يتتبع الإسماعيلية ويقتلهم حتى قضى على الكثيرين منهم، وما لبث أن اجتمع شمل الفريق الذى نجا من هذا الاضطهاد بناحية جبل مسور جنوبى صنعاء تحت زعامة ابن الطفيل[٣]. ولما وصل إلى إبراهيم بن عبد الحميد الشيعى نبأ تزعمه الإسماعيلية باليمن خرج إليه وقتله، فتفرق من بقى من أصحابه وقصدت جماعة منهم نواحى عمان[٤].

اتخذت طائفة الإسماعيلية باليمن بعد وفاة ابن الطفيل، ابن رحيم رئيسا لها ويعرف أيضاً بابن جفتم[٥]، وكان كثير التنقل، لا يستقر فى موضع واحد خوفا من تعقب السنيين له- ولم يصرفه ذلك عن مكاتبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى منذ قدم من بلاد المغرب إلى مصر، واتخذ القاهرة حاضرة له، وأظهر له فى كتبه دخوله فى طاعته، كما

(١) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١.

(٢) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص١٥٢.

(٣) العرشى: بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٤.

(٤) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١.

(٥) الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ١٦.

حرص على أن ينهى إليه وإلى الخليفة العزيز بالله الفاطمى من بعده أخبار أهل اليمن[١]. ولم يزل على ولائه لهذا الخليفة حتى شعر بدنو أجله، فاستخلف على أتباعه من الإسماعيلية رجلا منهم يقال له يوسف بن الأسد[٢].

لم يكن دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن هم الذين أقاموا الدعوة وحدهم للخليفة العزيز بالله الفاطمى، بل أقامها أيضاً أمير صنعاء عبد الله بن قحطان بن أبى يعفر سنة ٣٧٩هـ، وكان أمراء بنى يعفر قد استعادوا هذه المدينة بعد وفاة على بن الفضل سنة ٣٠٣هـ، وضموا إلى حوزتهم بعض البلاد المجاورة لها، وأقاموا فيها الخطبة للخليفة العباسى، فلما استقرت الأمور لعبد الله بن قحطان فى صنعاء، تجهز لفتح تهامة وأوقع الهزيمة بأميرها أبى الجيش إسحق بن إبراهيم بن زياد، ثم دخل زبيد حاضرة بنى زياد واستولى عليها وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسى فى جميع البلاد التى تحت سيطرته وإقامتها للخليفة العزيز بالله الفاطمى، واستمر الحال على ذلك حتى توفى سنة ٣٨٧هـ[٣].

هكذا أتيح للدعوة الفاطمية أن تستعيد مكانتها فى بلاد اليمن بعد أن لاقى دعاتها كثيراً من العنت والاضطهاد على يد السنيين. كما أخذت الدعوة العباسية فى تلك البلاد فى الضعف والانحلال تبعاً لنشاط دعاة الإسماعيلية وانصراف أمراء اليمن- الذين كانوا يدينون بالطاعة لبنى العباس- إلى التنافس والتنافر فيما بينهم مما أدى ببعضهم إلى إحلال اسم

(١) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١- ٤٢.

(٢) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص١٥٢.

(٣) الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ١٧.

الخليفة الفاطمى فى الخطبة محل الخليفة العباسى، وليس من شك فى أن هذا العمل مهد السبيل لازدياد النفوذ الفاطمى ببلاد اليمن.

كان دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن لا يألون جهداً فى القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سراً للخليفة الحاكم بأمر الله حتى توفى، فخلفه داع جرئ يدعى عامر بن عبد الله الزواحى- كان كثير المال والجاه، وقد استغل ماله ونفوذه فى سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمال عدداً كبيراً من أهالى اليمن إلى المذهب الإسماعيلى، وظل يدعو للفاطميين طيلة عهد الحاكم والظاهر وأوائل أيام المستنصر[١]. ولما حضرته الوفاة استخلف على بن محمد الصليحى[٢] الذى نشأ فقيها صالحا، وصار دليلا لحاج اليمن عدة سنين، وما لبث أن عظمت شهرته وذاع بين الناس أنه سيمتلك اليمن بأكمله. ولما حج سنة ٤٢٨هـ، اجتمع بفريق من قومه همدان ودعاهم إلى نصرته ومؤازرته فى دعوته، فأجابوه وبايعوه، وكانوا ستين رجلا من رجالات عشيرته[٣].

وجه على بن محمد الصليحى اهتمامه بعد عودته من بلاد الحجاز إلى اليمن سنة٤٢٨هـ إلى إحياء الدعوة الإسماعيلية القديمة التى قلده عامر بن عبد الله الزواحى زمامها، فأخذ فى إظهارها واتخذ حصن مسار بجبل حراز مقراً له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع إليه من سنحان وهمدان وحمير خلق كثيرا[٤].

---

(١) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص١٥٢.

(٢) عرف بالصليحى نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز باليمن.

العرشى: بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٤

(٣) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ١٨.

(٤) العرشى: بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٤.

لم تكن الأمور ممهدة لعلى بن محمد الصليحى ليقوم بنشر دعوته فى جميع أرجاء اليمن؛ فعلى الرغم من زوال دولة بنى زياد سنة ٤٠٩هـ، فقد ورث ملكهم مواليهم الذين ساروا على سياستهم فى إقامة الخطبة لبنى العباس، وكان من بين هؤلاء الموالى نجاح الذى تمكن من إقامة دولة سنية فى زبيد خلفت دولة بنى زياد. وقد تمتع نجاح بكثير من مظاهر الاستقلال فى دولته، فصار يركب بالمظلة كغيره من السلاطين ويسك العملة باسمه، وبلغ من ازدياد نفوذه أن فوض إليه الخليفة العباسى تقليد القضاء لمن هو أهل له، كما عهد إليه بالنظر فى شئون البلاد اليمنية ولقبه بالمؤيد نصر الدين[1].

كانت دولة نجاح السنية تعمل على قمع أى محاولة يقوم بها دعاة الإسماعيلية لنشر دعوتهم فى بلاد اليمن، لهذا لم يستطع على بن الصليحى رغم تأييده خلافة المستنصر بالله الفاطمى أن يجهر بالدعوة له، يقول بامخرمة[2]: «وكان الصليحى يدعو للمستنصر بن معد بن الظاهر العبيدى سراً ويخاف نحاجاً».

وقد عمد الصليحى إلى مداراة نجاح وأظهر له أنه يدين بالطاعة له، كما أخذ يتودد إليه ليأمن جانبه، ثم دبر مؤامرة للتخلص منه؛ فأهدى إليه جارية سنة ٤٢٥هـ، دست له السم فمات[3]، وخلفه من أولاده سعيد

---

(١) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ١١ - ١٢، ابن المجاور: تاريخ ابن المجاور ورقة ٨٦.

(٢) المختار فى تاريخ ثغر عدن ورقة ١٢٧.

(٣) ابن خلدون: جـ ٤ ص ٢١٤.

O, Leary De Lacy, A Short History of the Fatimid Khalifate p.202

الأحوال وجياش؛ غير أنهما لم يستطيعا أن يقفا فى وجه الصليحى طويلا وهربا إلى دهلك[1]؛ وبذلك قضى الصليحى على دولة نجاح وضم زبيد إلى حوزته.

لما قوى أمر الصليحى وتوطد نفوذه فى بلاد اليمن التى احتلها، كتب إلى المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٥٣هـ يستأذنه فى إظهار دعوته، كما بعث إليه هدية ثمينة، تشمل سبعين سيفاً، مقابضها من عقيق وخمسة أثواب وشى وفصوص عقيق ومسك وعنبر، فقبل المستنصر هديته وأمر له برايات، كتب عليها الألقاب وعهد إليه بالولاية، وأذن له فى نشر الدعوة[2].

علت مكانة الصليحى فى بلاد اليمن بفضل تأييد المستنصر له، وأخذ يوجه اهتمامه إلى توسيع رقعة بلاده؛ فسار إلى التهائم فافتتحها، ولم تمض سنة ٤٥٥هـ إلا وقد بسط سلطانه على بلاد اليمن واتخذ صنعاء مقراً له[3]، وفى ذلك يقول العرشى[4]: «ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلى بن محمد الصليحى، فإنه استولى على اليمن، سهله وجبله، وشماله وجنوبه، وغربه وشرقه، فى المدة اليسيرة، وقهر ملوكه».

استطاع الصليحى بعد أن اتسعت رقعة دولته وقضى على مناوئيه

---

(١) المقريزى: خطط جـ ٢ ص ١٧٢.

دهلك: جزيرة فى بحر اليمن (ياقوت: معجم البلدان).

(٢) الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢١.

(٣) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص ١٨.

(٤) بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٥.

أن يعيد للدعوة الإسماعيلية مكانتها فى بلاد اليمن- وكانت قد وهنت بعد وفاة ابن حوشب وانقسام أبنائه على أنفسهم، وصارت الخطبة تقام على منابر تلك البلاد للمستنصر والصليحى وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب، وزالت بذلك دولة بنى العباس من بلاد اليمن(١).

لما استقرت الأمور للصليحى فى صنعاء دعا إليه أمراء اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم معه وولى صهره أسعد بن شهاب زبيد وأعمالها تهامة- وكان قد أقسم الا يوليها إلا لمن قدم إليه مائة ألف دينار- ثم ندم على يمينه؛ فلما حملت إليه زوجته أسماء هذا المبلغ ليوافق على تعيين أخيها أسعد، قال لها الصليحى: يا مولاتنا، أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله: «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فتبسم وهو موقن أنه من خزانته. وبعد أن أعيد إليه المبلغ، قال: هذه بضاعتنا ردت إلينا. فقالت: «ونمير أهلنا ونحفظ أخانا»، فأقر الصليحى أسعد بن شهاب على ولاية زبيد سنة ٤٥٦هـ. وكان حسن السيرة، فلم يسئ إلى رعاياه وعلى الأخص السنيين، وبلغ من تسامحه معهم أن أجاز لهم إظهار مذاهبهم(٢).

كان الصليحى يحكم بلاد اليمن على اعتبار أنه نائب عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وحرص هو وخلفاؤه من بعده على إظهار ولائهم للأئمة الفاطميين فى مصر. وقد تبودلت بين الصليحى والمستنصر بالله الفاطمى عدة مراسلات تبين لنا ما كان بينهما من صلة وثيقة، ففى شهر

---

(١) بامخرمه: المختار من ثغر عدن ورقة ١٣٩- ١٤٠.

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ١٩.

صفر سنة ٤٥٢هـ. أرسل المستنصر كتاباً إلى الصليحى أخبره فيه بمولد ابنه أحمد الملقب بأبى القاسم وطلب منه إذاعة هذا النبأ فى جميع أنحاء دولته[١]، كما بعث إليه خطاباً آخر فى رمضان سنة ٤٥٥هـ، وصف فيه ثورة ابن باديس بإفريقية وكيف تمكن من القضاء عليها وأعاد بلادها إلى حوزته. ويتبين لنا من هذا الخطاب الأخير مدى اهتمام المستنصر بإخبار الصليحى نائبه وداعيته فى بلاد اليمن بالأحداث التى تقع فى دولته.

كان المستنصر يثق بالصليحى ويطمئن إليه فى نشر دعوته ليس فقط فى بلاد اليمن، بل أيضاً فى بلاد الحجاز، فعهد إليه بإقرار الأمور فى مكة وأبدى له فى رسالة بعثها إليه سنة ٤٥٦هـ. ارتياحه للخدمات الجليلة التى قام بها فى سبيل إقامة الدعوة له وتوطيد نفوذه فى بلاد اليمن والحجاز، وأنعم عليه بلقب عمدة الخلافة[٣].

كان الصليحى يريد السفر إلى مصر ليحظى بمقابلة الخليفة المستنصر بالله الفاطمى؛ فبعث إليه رسالة مع مبعوثه لمك بن مالك ليأذن له بالقدوم عليه، فأذن له الخليفة فى خطاب أرسله إليه فى جماد آخر سنة ٤٥٩هـ[٤] غير أن الصليحى رأى أن يذهب أولا إلى مكة

(١) (B.O.S.), Vol VII, Part2, Letters of Al-Mustansir (حسين الهمدانى) p.313.

(٢) (B.S.O.S.), Vol, VII, Part2,1934. p.312-313.

(٣) (B.S.O.S.). 1934Vol VII part2, p.312.

(٤) (B.S.O.S.) 1934Vol VII Part2, p.309.

لأداء فريضة الحج، واستخلف ابنه المكرم أحمد بصنعاء، واستصحب معه أمراء اليمن خوفا من تآمرهم على ولده وإقصائه عن الملك، كما أخذ بصحبته زوجته أسماء بنت شهاب وبعض أفراد أسرته، وبينما هو فى طريقه إلى مكة اغتاله سعيد الأحول بن نجاح فى أواخر سنة ٤٥٩هـ[١].

ولى المكرم أحمد الملك فى بلاد اليمن بعد وفاة أبيه على بن محمد الصليحى وبعث إليه الخليفة المستنصر بالله رسالة فى شهر شعبان سنة ٤٦٠هـ عبر فيها عن أسفه لوفاة والده وعهد إليه بشئون الدعوة[٢].

عول المكرم بعد أن تقلد زمام الأمور فى بلاد اليمن على التخلص من سعيد الأحول بن نجاح الذى كان إذ ذاك قد استولى على زبيد، فسار إليه على راس جيش كبير. ولم تزل المعركة دائرة بين الفريقين حتى هرب سعيد ومن معه إلى دهلك. واستعاد بذلك المكرم سلطانه على زبيد وولى عليها خاله أسعد بن شهاب. على أن بنى نجاح ما لبثوا أن عادوا إلى زبيد فأوقع بهم المكرم الهزيمة وأخرجهم منها وقتل سعيد ابن نجاح. وبعد أن تغلب المكرم على الصعوبات التى واجهته، أمر بضرب الدينار الملكى ونقش عليه هذه العبارة: «الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين»[٣].

لما وصل إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى نبأ الهزيمة التى حلت

(١) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٢٢، ابن المؤيد اليمنى: أنباء الزمن فى أخبار اليمن ص ٤٠.

(٢) (B. S. O), 1934 Vol VII Part 2, p,319.

(٣) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٢٦ – ٢٧.

بسعيد الأحول بن نجاح وقتله، أرسل إلى المكرم خطاباً نوه فيه عن سروره لهزيمة العدو وأخذه الثأر لأبيه وقال له: «فلله درك أيها الأجل، لقد زكى غرسك وطاب، وحق أمل أمير المؤمنين فى تقديم قدمك وما خاب، فاعلم أنك خليفته فى بلاد اليمن وعماده، وعدته وسناده وقر عيناً بما أعطاك الله من الرتبة السنية والدرجة العلية»، وأبلغه فى نهاية خطابه أنه أنعم عليه بلقب أمير الأمراء[١].

لم يكن لدى المكرم الصفات التى تؤهله ليخلف أباه فى إدارة شئون بلاد اليمن لذلك نراه بعد أن استعاد زبيد من سعيد الأحول وعاد إلى صنعاء يقلد زوجته السيدة الحرة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحى زمام الأمور فى اليمن، ويعهد إليها بالقيام بأمر الدعوة الإسماعيلية، أما هو فقد انصرف إلى التمتع بملاذ الحياة[٢].

على أن المكرم رغم ذلك حرص على توطيد علاقته بالمستنصر بالله الفاطمى، فظل مواليا له، وعبر عن ذلك فى كتبه التى بعثها إليه، كما أن الخليفة الفاطمى لم يهمل شأنه وأولى زوجته السيدة الحرة كل ثقته لإخلاصها للدعوة الإسماعيلية وظلت كتبه لا تنقطع عنهما، فبعث إلى المكرم كتابا فى ٢٩ من ذى القعدة سنة ٤٧٠هـ تضمن وصفا للمركز السامى الذى تقلده بدر الجمالى فى دولته والخدمات العظيمة التى أداها له باعتباره إماما، وكيف وطد نفوذ خلافته،

(١) انظر السجلات المستنصرية رقم ٦٠ ص ١٩٦- ١٩٩
(B. S. O. S.). 1934, Vol VII Part 2, p.323

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٢٩.

فقال: «قد نشر الله تعالى به دعوة أمير المؤمنين بعد أن أصبحت رميما ونضر به خلافة أمير المؤمنين بعد أن أصبحت هشيما، لم يكن لأمير المؤمنين بد من أن يرقيه فى الرفع والإعلاء فوق الفراقد، ويحله منه محل الوالد، ويجعل له مقام الملك وينزله فى عقد خلافة الإمامة مكان السلك، فنص عليه فى كفالة قضاة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين، نص حق ونقلها منه إلى محق مستحق إذا كان مبرزاً فى ميدانها، ناطقا بلسانها عالما بأحكامها»، وطلب المستنصر من المكرم فى نهاية كتابه أن يطيع أوامر بدر وإرشاداته، فقال: «فول وجهك نحو هذا السيد الأجل واجعله قبلة دينك فى مصادرك ومواردك، وارجع إليه فيما عراك من مشكلات الدين، واشتبه عليك من فتاوى المؤمنين، ليرسل إليك من علمه شهابا قبسا، ويضرب لك فى بحر ما اشتبه عليك طريقا يبسا، واعلم أن الدولة الفاطمية بخدمته وجده واجتهاده أطلع الله شمسها فأصبحت من سماء العز فى الكبد، وشق فى نصرتها غياهب الظلمات بعد ضعف الناصر وقلة العدد...»[1].

ومما لاشك فيه أن بدر الجمالى الذى قلده الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وزارة السيف والقلم كان يتمتع إذ ذاك بنفوذ كبير فى مصر، فقد عهد إليه الخليفة إدارة كافة شئون دولته وزاد فى ألقابه: «السيد الأجل، أمير الجيوش، كافل قضاة المسلمين، هادى دعاة المؤمنين»، ومن ثم صارت كلمته نافذة على القضاة والدعاة وسائر موظفى الدولة[2]. ولما كانت

(١) انظر السجلات المستنصرية رقم ٣٤ ص ١٠٦ – ١٠٩.

(B. S. O. S.) 1934. vol VII Part, 2 p. 317-318.

(٢) المقريزى: خطط جـ ١ ص ٣٨٢.

سلطة بدر الجمالى قد امتدت تبعا لذلك إلى الولايات الخاضعة لنفوذ الخلافة الفاطمية، لذلك رأى المستنصر أن يبعث إلى القائمين بأمر الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن يخبرهم بتقلد بدر الجمالى زمام دعوته، فأرسل إلى السيدة الحرة خطاباً أشاد فيه بذكر هذا الوزير وقال: «فهو خليفتنا وباب دعوتنا، الحال منا محلا لم يحله أحد قبله، القائم من أمورنا مقام الأساس لمشكلات الالتباس، وهو عليك شفيق ولمصالح حالكم سالك فى كل طريق» وختم خطابه بقوله: «فاعلمى ذلك وسارعى إليه إن شاء الله تعالى»(١).

كان المكرم قبل وفاته قد أوصى أن يخلفه فى الدعوة ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر بن على الصليحى، فلما توفى سنة ٤٨٤هـ، أرسلت السيدة الحرة خطاباً إلى المستنصر بالله الفاطمى تخبره بوفاة زوجها المكرم وترجوه أن يوافق على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه -وكان لا يزال طفلا- فأقر الخليفة تعيينه خلفا لأبيه وعهد إليه بالقيام بشئون الدعوة، وأمر أن تعنون جميع المراسلات الصادرة منه إلى بلاد اليمن باسم عبد المستنصر(٢)، كما أرسل خطابات أخرى مع رسوله عضد الدين أبى الحسن جوهر المستنصرى، أحدها إلى السيدة الحرة يعزيها فى وفاة زوجها المكرم ويثنى على وفائها للدعوة.

على أن تولية عبد المستنصر أمر الدعوة لم يلق قبولا لدى أمراء اليمن بسبب صغر سنه، يؤيد ذلك هذا الخطاب الذى أرسله الخليفة الفاطمى إلى عبد المستنصر وقد وصفه فيه بأنه «سليل الدعوة ونجلها»

---

(١) (B. S. O. S.) 1934. vol VII Part, 2 p312.

(٢) (B. S. O. S.) 1934. vol VII Part, 2 p316.

ونوه بما لأسلافه من فضل السابقة فى التعلق بها وحسن الأثر فى نشرها، وقال إنه قلده «الدعوة الهادية فى سائر أعمال اليمن وما يليها سهلا ووعرا وبرا وبحرا»، وتحدث فى نهاية خطابه عما وصله عن اعتراض البعض على تقليده الدعوة بسبب صغر سنه، بقوله: «وبعد هذا، فقد كان أمير المؤمنين عرف بما أمده الله به من التأييد الخفى، والنظر الألمعى، أنه إذا شوهد ما خلص إليه من شريف هذا الاهتمام والتقديم والكمال والإنعام... سترمقك العيون وتجول فى عظيم ما خصصت به الظنون، إذا وليت هذا الأمر العالى قدره وأنت فى سن الصبا، فأنكر أمير المؤمنين ذلك عليهم... ووجد على من ظن ذلك موجدته على من قدح فى الدين...، لأن الله تعالى فوض إلى أمير المؤمنين الخلافة وسنه دون الثمان سنين،...، وقد جاز هذا فى الإمامة وهى الدرجة التى تلى النبوة، فكيف الدعوة التى لأمير المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره ويفوضها إلى من يرتضيه ويختاره[1]...».

كان الخليفة المستنصر بالله الفاطمى يحرص على استقرار الأمور فى بلاد اليمن ليضمن بذلك الاحتفاظ بسيادته على تلك البلاد، فلما قام النزاع بين الداعى أبى حمير سبأ بن أحمد الصليحى وأبى ربيع سليمان بن الأمير الزواحى على أثر تولية عبد المستنصر رئاسة الدعوة، بعث رسالة إلى السيدة الحرة قال فيها إنه ينظر إلى هذا النزاع بشئ من القلق وطلب إليها أن تسعى فى الصلح بينهما.

(١) انظر السجلات المستنصرية رقم ٣٧ ص ١٢٢ – ١٢٨.

كذلك أرسل المستنصر كتاباً فى ربيع الأول سنة ٤٨٠هـ إلى الصليحيين وآل الزواحى رجاهم فيه أن ينهوا ما بينهم من خلاف وأن يطيعوا السيدة الحرة وابنها عبد المستنصر، وناشدهم مناشدة قوية لكى يتحدوا فى سبيل نشر الدعوة، وعبر فى خطابه عن ارتياحه للخدمات التى قام بها كل من الصليحى والمكرم والسيدة الحرة لنجاح دعوته[١].

وقد جاء فيه[٢]: «من عبد الله ووليه، معد أبى تميم، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين، والمشايخ الحجازيين، وطوائف الميامين.. أما بعد، فإن الله شرف أمير المؤمنين بفضل الخلافة على بريته، وأناف به محل الدعوة الهادية ومرتبته.. ولما عرف أمير المؤمنين ما كان منكم من النصرة من حميد المساعى ومأثور مواقفكم من حماية الدعوة....، شكر لكم هذه المناقب، وأمير المؤمنين يأمركم بالجرى على هذه السنن... وأن تعتمدوا الائتلاف، والتحذير من عواقب المقاطعة والاختلاف... (وأمير المؤمنين) يفرض عليكم التدين بطاعة داعيكم الملك الأوحد، المنصور، العادل، المكرم، عمدة الخلافة... سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه عبد المستنصر...، ويأمركم أن تعتمدوا الجد والتشمير فى متابعته ومناصرته... والجهاد تحت رايته....، وأن تخلصوا النيات فى موافقة وطاعة والدته: الحرة، الملكة، السيدة السديدة،.... ولية

---

(١) (B. S. O. S.), 1934, Vol VII Part 2 p. 318-319

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٣٨ ص ١٢٨- ١٣٤.

أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين.. التى استكفاها أمير المؤمنين فى تدبير أمره..».

لقيت الدعوة التى وجهها المستنصر إلى آل الصليحى وآل الزواحى لفض النزاع بينهم قبولا، وقد وافته بهذا النبأ السيدة الحرة فى خطاب أرسلته إليه، فبعث إليها الخليفة رداً أعلن فيه سروره لزوال الخلاف الذى قام بين سبأ بن أحمد الصليحى وسليمان بن الأمير الزواحى وعقد الصلح بينهما[١].

لم يعمر عبد المستنصر طويلا، فقد وافته المنية ونشب بعد وفاته نزاع بين الداعى سبأ بن أحمد المظفر وبين السيدة الحرة بسبب طموحه إلى الاستحواذ على رياسة الدعوة وحكم بلاد اليمن ورغبته فى التزوج منها، لكن السيدة الحرة كرهت ذلك وأنكرته؛ وتهيأ كل منهما للقتال، وبعد أن دارت الحرب بينهما أياما أرسل سليمان بن عامر الزواحى إلى الداعى سبأ بن أحمد يقول له: «والله لا أجبتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر بالله[٢]»، فبعث سبأ بن أحمد إلى المستنصر بالله رسولين هما: القاضى حسين بن إسماعيل الأصبهانى وأبو عبد الله الطيب ومعهما رسالة يرجو فيها الخليفة أن يطلب من السيدة الحرة التزوج منه[٣]، فكتب إليها المستنصر خطاباً أمرها فيه بالتزوج من الداعى سبأ بن أحمد، وسير إليها أستاذاً من قبله يلقب بيمين الدعوة ليتحدث معها فى هذا الشأن[٤].

(١) (B. S. O. S.), 1934, vol VII Part 9 d.321.

(٢) الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥.

(٣) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٣٢.

(٤) ابن المؤيد اليمنى: أنباء الزمن فى اخبار اليمن ص ٤٣.

لما حظى رسول المستنصر بمقابلة السيدة الحرة وقف بين وزرائها وكتابها ورجال دولتها وقال موجها الكلام إليها: «أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، ذخيرة الدين، عصمة المسترشدين، كهف المستنجدين، ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، ويقول فيها: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً». وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعى الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة، أمير الأمراء أبى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر على الصليحى على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف وألطاف وطيب وكساوى. فقالت السيدة الحرة: «أما كتاب مولاى فأقول فيه إنى ألقى إلى كتاب كريم · إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا على وأتونى مسلمين)، ولا أقول فى أمر مولانا: (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون)، وأما أنت ياابن الأصبهانى[1] فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن موضعه وسولت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون[2]». ثم تقدم إليها وزيرها

(١) وهو أحد الرسولين اللذين بعثهما الداعى سبأ بن أحمد إلى الخليفة المستنصر.

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ ص ٣٢ - ٣٣.

زريع بن أبى الفتح والقاضى الحسين بن إسماعيل الأصبهانى وبعض رجال دولتها وأخذوا يحسنون لها التزوج من الداعى سبأ بن أحمد، وما زالوا يلحون عليها فى الرجاء حتى قبلت عقد الزواج تحقيقا لرغبة الخليفة(١).

يتبين لنا من تدخل المستنصر بالله الفاطمى فى مسألة زواج الداعى سبأ بن أحمد من السيدة الحرة إلى أى حد علت مكانة هذا الخليفة بين أمراء اليمن ودعاتها حتى أصبحت كلمته نافذة عليهم، ليس فقط فى المسائل السياسة والدينية بل فى المسائل الخاصة، وقد سبق له أن أبدى رغبته فى وضع حد للنزاع بين آل الصليحى وآل الزواحى، وها هو يأمر السيدة الحرة بالتزوج من الداعى سبأ بن أحمد، ولاشك أنه كان يرجو من وراء هذا الزواج توثيق الصلة بين أمراء اليمن ودعاتها وعدم إثارة عوامل الخلاف بينهم حتى لا تتعرض الدعوة للضعف من جراء تفرق كلمتهم وانشغالهم بالمنازعات التى قد تؤدى فى النهاية إلى زوال نفوذهم.

على أن السيدة الحرة لم تمكن زوجها الداعى سبأ بن أحمد من السيطرة على شئون بلاد اليمن، بل استحوذت عليها واستأثرت بالسلطة دونه، وظلت موالية للمستنصر وآل بيته وتوثقت عرى الصداقة بينها وبينهم. وأكبر دليل على ذلك الرسائل التى تبودلت بين السيدة الحرة والمستنصر، وبينها وبين والدة هذا الخليفة وأخته مما يثبت لنا ثقتهم بقدرتها على إقرار الأمور فى بلاد اليمن وإذاعة الدعوة بين ربوعها، بل بلغ من ثقة المستنصر بكفايتها للقيام بشئون الدعوة الفاطمية أن

---

(١) الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥.

عهد إليها أمر تنظيمها فى بلاد الهند وعمان، كما أجاز لها أن تعين من يقع اختيارها عليه من الدعاة لنشر الدعوة فى تلك البلاد[١].

لم يكن لمظاهر الضعف التى أصابت الخلافة الفاطمية فى أواخر عهد المستنصر أى أثر فى بلاد اليمن، فظلت السيدة الحرة مخلصة فى ولائها لهذا الخليفة رغم ما بلغها عن تقلص نفوذه.

لما توفى المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٧هـ وخلفه ابنه أبو القاسم أحمد الملقب بالمستعلى بالله أيدت السيدة الحرة خلافته، كما أيدها دعاة اليمن رغم أن الإسماعيلية فى مصر لم يجمعوا على أحقيته فى تقلد عرش الخلافة بعد أبيه، ذلك أن الأفضل بن بدر الجمالى وزير المستنصر أقدم بعد وفاة هذا الخليفة على إقصاء ابنه نزار ولى عهده وأكبر أبنائه عن العرش، وبايع أخاه الصغير أبا القاسم أحمد بعد أن اجتمع بالأمراء وخوفهم مما يصيبهم من نزار إذا ما ولى الحكم فى الدولة الفاطمية، وقد ترتب على إقصاء نزار عن الخلافة رغم أحقيته لها خروج أهالى الإسكندرية على طاعة الخليفة الجديد وانحيازهم إلى نزار، غير أن الأفضل ما لبث أن تمكن من القضاء عليه وعلى من آزره فى ثورته[١].

أرسل المستعلى إلى السيدة الحرة رسالة مؤرخة فى ٨ صفر سنة ٤٨٩هـ. تضمنت وصفا لثورة نزار وتغلب وزيره الأفضل بن بدر الجمالى عليها نهائيا[٣]، ومما ورد فيها[٤]: «من عبد الله ووليه أحمد أبى القاسم

---

(١) (B. S. O. S.), 1934, Vol VII Part 2 p.321

(٢) ابن ميسر: تاريخ مصر ص ٣٥- ٣٧.

(٣) (B. S. O. S.) 1934, Vol VII Part 2 p.218.

(٤) السجلات المستنصرية رقم ٤٣ ص ١٤٥- ١٥١.

الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الحرة، الملكة، السيدة، السديدة،.. ولية أمير المؤمنين... قد علمت ما كان صدر إليك من حضرة أمير المؤمنين عندما أصاره الله تعالى إليه من إرث خلافته، وذلك بالنص الذى كان من مولانا الإمام المستنصر بالله .. وإن البيعة انتظمت لأمير المؤمنين على أجمل القضايا والأسباب، ودخل الناس فيها من كل باب، بحسن سياسة فتاه وخليله، السيد، الأجل، الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين...، وكان الأمراء إخوة أمير المؤمنين أول من دخل فى البيعة مسارعا وانقاد لأحكامها طائعا...، ومن جملتهم نزار وهو الأخ الأكبر سنا.. ثم إن الشيطان استزله واستغواه ...، ففارق جناب أمير المؤمنين ـ...، وسار منه متوغلا فى القفار، راكباً الأخطار حتى وصل إلى الاسكندرية، وفيها أفتكين- أحد مماليك السيد الأجل، أمير الجيوش..؛ فقابل هذا العبد العاق... نعم مواليه بالكفر، وأظهر ما كان كامناً فى نفسه من الخيانة والغدر، ووافق نزارا على ما سعى إليه من الفساد...، فتقدم أمير المؤمنين إلى فتاه الأمين .. بأن يكاتبهم معذراً وزاجراً ...، وهم على غلوائهم متمادون... إلى أن حملهم العدوان.. على البروز عن الإسكندرية فيمن انضم إليهم من لفيف الأجناد وطوائف العربان والمغاربة والسودان... وأمير المؤمنين يمده بصائب الآراء...، فصدمهم صدمة تزعزع منها أركان الجبال، وأحل بجمعهم قوارع الشتات والنكال..؛ ولما يسر الله تعالى مفتتح هذا النصر... أذن أمير المؤمنين

لفتاه السيد الأجل باتباعهم... فتوجه يقتص آثارهم... وحمى بين الفريقين وطيس الهيجاء... وكان المخاذيل فى هذه النوبة قد تجمعوا من كل فج وواد، فزادت عدتهم على ثلاثين ألف فارس وراجل، فرمى الله جمعهم بالحتف العاجل... وطار نزار وافتكين على رسميهما فى الفرار... وكان الفتح فى هذه الوقعة مثل ما تقدمه بحملات واصلها السيد الأجل بنفسه وغلمانه... فلم تزل السيوف تتحكم فيهم إلى أن سترتهم الظلماء... وقتل وأسر منهم ألوف كثيرة...، وتوجه نحوهم.. حتى نزل على البلدة... فحصرها براً وبحراً.. وحضر شهر الصوم، فأخر مناجزتهم حفظاً لحرمة الشهر الشريف،... فلما انقضى (هذا الشهر) ولم تنقض غوايتهم وبغيهم.. رماهم بحجارة المنجنيقات...، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى تداعى الحصن من سائر أركانه، فتهاوت الرجال متسامنين وبالعفو لائذين...، فخرج (أفتكين) بغير عهد ولا عقد يتعلق به، ووقف بين يدى مولاه ملتحفاً ثوب الذل والهوان...، فأضرب عنه صفحاً...، وتوفر على المهم من الحوطة على نزار، وحفظ الثغر من عوادى النهب والأضرار...».

كذلك حاولت والدة الخليفة المستعلى جذب الدعاة فى اليمن إليه فبعثت إلى السيدة الحرة رسالة، تحدثت فيها عن عهد المستنصر لولدها أبى القاسم أحمد وثورة نزار وأفتكين بالإسكندرية على خلافته[١] وقد جاء فيها[٢]:

---

(١) (B. S. O. S), 1934. Vol VII, Part 2, p.218

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٣٥. ص ١٠٩ - ١١٧.

«من السيدة الملكة الكريمة....، والدة الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله...، إلى الحرة الملكة السيدة، السديدة...، قد اشتهر بين كافة المؤمنين، وأولياء الدين، ورعايا الدولة أجمعين. أن الإمام المستنصر بالله...، كان يشير (بالإمامة) إلى ولده الإمام المستعلى بالله، ثم أفصح...، وأنه تولى بنفسه الشريفة الكريمة توفيقه وتفهيمه، واختصه دون الأولياء بمزية إلفه وأنسه، ثم انتقل إلى دار الكرامة، ومحل الإقامة، بعد أن أظهر النص عليه، وأعلن بنقل الأمر إليه...، وجعل خليله ووزيره، السيد الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام.. ولياً أعلى الله همته فى ارتياد الصلاح واغتنامه...، ومدبراً أجرى به أمر المملكة على اطراده وانتظامه، فقام لأمير المؤمنين بأمر البيعة أحسن قيام...، وكان أول داخل فيها الأمراء إخوة أمير المؤمنين تسليما لحقه وإذعاناً. وعلماً بأن الله تعالى يفيض شعار الإمامة على من يرتضيه...، ومن جملتهم نزار أخوه الأكبر سناً، فإنه عرف الحق فعاهد وبايع...، ثم أدركه الحسد....، فانسل ذليلا تحت جنح الليل...، ومضى إلى الإسكندرية وبها أفتكين....، واجتمعا معاً على الفتنة....، واستغويا طوائف من المنافقين....، وكان أمير المؤمنين بما آتاه الله تعالى من شرف العلم، وحبب إليه من الفضل والحلم، موعزا إلى فتاه وخليله السيد الأجل الأفضل، بمواصلتهم بالمكاتبات المشتملة على الإنذار والإعذار...، وهم متمادون على غلوائهم فى البغى والعناد...، فعند ذلك أذن له مولانا فى لقائهم».

لم يتأثر دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن بهذا النزاع الذى حدث فى مصر حول الخلافة والذى ترتب عليه ظهور فرقتين، عرفت الأولى بالنزارية، وكانت تدعى أن المستنصر أوصى لابنه الأكبر نزار بالخلافة من بعده أما الفرقة الثانية فادعت أنه أوصى بها لابنه المستعلى وقد انحاز دعاة الإسماعيلية فى اليمن إلى هذه الفرقة وظلوا على ولائهم للخليفة المستعلى.

كذلك لم تلق فرقة النزارية التى اتخذت من بلاد المشرق مركزاً لها بزعامة الحسن بن الصباح[1]– الذى مال إلى القول بإمامة نزار وأنكر إمامة المستعلى– أنصاراً فى بلاد اليمن، بل لقد أصبح اسم نزار مبغضاً عند أهالى هذه البلاد كما هى الحال عند غالبية الإسماعيلية فى مصر.

كان النزارية فى مصر لا يعترفون بإمامة المستعلى ويعملون على التخلص منه ومن وزيره الأفضل، ولم يمتد نشاطهم إلى البلاد الواقعة فى دائرة النفوذ الفاطمى، أما فرقة المستعلية التى اتخذت مصر مقراً لها فنشطت فى بث الدعوة لإمامة المستعلى وظهر أثر نشاطها جلياً فى بلاد اليمن حيث قام الدعاة بنشر الدعوة لهذا الخليفة، ولم تر السيدة الحرة التى كانت تتمتع إذ ذاك بنفوذ كبير فى بلاد اليمن فى الخلاف الذى ظهر بين الإسماعيلية فى مصر عقب وفاة المستنصر بشأن أحقية المستعلى فى الإمامة ما يجعلها تتخذ لنفسها سياسة مستقلة عن الدولة الفاطمية، بل دخلت فى طاعة هذا الخليفة بعد أن وقفت على عوامل ثورة نزار ونجاح الأفضل بن بدر الجمالى فى القضاء عليها.

---

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٦٥.

ولاشك أن تأييد السيدة الحرة ودعاتها الخليفة المستعلى ساعد على عدم تسرب النزارية إلى بلاد اليمن، وبذلك لم تتفرق كلمة الإسماعيلية فى تلك البلاد كما تفرقت فى مصر.

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على شد أزر الدعوة الفاطمية فى اليمن. فلما مات زوجها الداعى سبأ بن أحمد سنة ٤٩٢هـ. ولت المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى داعياً مكانه[١]، كما عهدت إليه بمعاونتها فى القيام بأمور الدولة، وقد ثار فى عهده جماعة من الفقهاء بحصن التعكر[٢] وبايعوا رجلا منهم يعرف بإبراهيم بن زيدان على الدعوة الإسماعيلية وانحازت إليهم قبيلة خولان، غير أن المفضل ما لبث أن حاصرهم وانتهى الأمر بالقضاء على ثورتهم[٣].

كان من أثر انضمام الخولانيين إلى الخارجين على الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن سنة ٥٠٤هـ وقيام النزاع بينهم وبين السيدة الحرة أن وجهت الخلافة الفاطمية بالقاهرة اهتماما إلى معاونة السيدة الحرة، فأوفد إليها الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى الداعى على بن إبراهيم بن نجيب الدولة سنة ٥١٣هـ ليكون عوناً لها ضد أعدائها ومنافسيها[٤]- وكان ذا دراية كبيرة بمذهب الشيعة- فلما وصل إلى جزيرة دهلك فى طريقه إلى بلاد اليمن، قابله أحد الدعاة وأدلى إليه بأخبار تلك البلاد وأحوال أهاليها

(١) الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥.

(٢) قلعة باليمن من مخلاف جعفر مطلة على ذى جبلة (ياقوت: معجم البلدان)

(٣) ابن خلدون: جـ ٤ ص ٢١٦، ٢٢٢.

(٤) Enc. of Ialam, v. 4, p.517

وتواريخ ميلادهم وأسمائهم وما يميزهم من علامات، فكان إذا ما تحدث معهم عن غوامض الأشياء التى تتصل بهم اعتقدوا أنه يعلم الغيب[١].

اشترك ابن نجيب الدولة مع السيدة الحرة فى إدارة شئون بلاد اليمن. وصار من كبار الدعاة فى تلك البلاد، كما ظل مخلصاً للسيدة الحرة ومنفذاً فى الوقت نفسه لسياسة الخليفة الفاطمى بالقاهرة، وبذل جهداً مشكوراً فى العمل على استقرار الأمور فى بلاد اليمن. ولما ولى المأمون البطائحى الوزارة فى مصر فى عهد الخليفة الآمر، أمده بالمال والرجال ليضعف من شوكة أمراء اليمن الذين حاولوا الاستقلال ببعض البلاد[٢].

أثارت الحملات التى شنها ابن نجيب الدولة على بعض أمراء اليمن والتى انتهى الأمر فيها بهزيمتهم حقدهم عليه، وصاروا ينتهزون الفرص للتخلص منه، فلما بعث المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر الفاطمى رسولا من قبله إلى اليمن سنة ٥٢٠هـ لم يحفل به ابن نجيب الدولة وعول على الغض من شأنه، فاستغل أعداؤه من الأمراء والدعاة موقفه العدائى من رسول الوزير الفاطمى للانتقام منه، فاستمالوا هذا الرسول إليهم بالهدايا وانضموا إليه فى عدائه لابن نجيب الدولة، فأوعز إليهم بتدبير أمرين للتخلص منه: أما عن أولهما فقال: «اكتبوا على يدى إلى مولانا الآمر كتبا تذكرون فيها أنه دعاكم إلى نزار وراودكم

(١) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ص ٤٢.

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٤٣ – ٤٤، الديبع الشيبانى: قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٧.

على ذلك فامتنعتم»، وقال عن ثانيهما: «اضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الآمر بأحكام الله»، فأجابوه إلى طلبه، وبعث بكتبهم وبالسكة إلى الخليفة الآمر(١).

لما وصل إلى الآمر الفاطمى الكتب والسكة وفيها ما يدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة له وانحيازه إلى طائفة النزارية(٢) عهد إلى

(١) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ٤٦.

(٢) كان للنزارية أتباع فى مصر لا يعترفون بإمامة الآمر ويثيرون القلاقل ضده بإيعاز من رؤساء دعوتهم فى قلعة الموت الذين كانوا يمدونهم بالمال؛ فرأى الخليفة الفاطمى أن يرسل إلى زعيمهم الحسن بن الصباح كتاباً يفند فيه حجج فرقته التى تقول بأحقية نزار فى الإمامة ودعا إلى قصره قبل أن يرسل كتابه، الفقهاء من الإسماعيلية والإمامية وقال لهم وزيره المأمون البطائحى: ما لكم من الحجة فى الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية؛ فقال كل منهم: لم يكن لنزار إمامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله».

وكانت أخت نزار إذ ذاك تجلس فى قاعة صغيرة بجانب الديوان بالقصر وعلى الباب ستر؛ فلما فرغ فقهاء الإسماعيلية من الإدلاء برأيهم فى أقوال الخارجين على الخليفة قالت: «اشهدوا على يا جماعة الحاضرين وبلغوا عنى جماعة المسلمين أن أخى شقيقى نزارا لم يكن له إمامة وإننى (برية) من إمامته جاحدة لها لاعنة لمن يعتقدها...».

ولما انقضى المجلس، عهد المأمون البطائحى إلى ابن الصيرفى بكتابة رسالة لابن الصباح يدحض فيها آراء النزارية فى الإمامة؛ غير أن هذه الرسالة لم يتح لها أن تصل إلى يد ابن الصباح لعدول رسل الخليفة عن مواصلة السفر إليه بسبب الأنباء التى وصلت إلى مصر عن ازدياد نفوذ طائفة النزارية ببلاد المشرق، واتصالها بأتباعها فى مصر لتدبير مؤامرة لقتل الآمر ووزيره المأمون. لذلك لا نعجب إذا رأينا الآمر يتتبع حركاتهم فى جميع البلاد الخاضعة لنفوذه ويعمل على التخلص ممن تحوم الشبهات حول انحيازه إليهم، لكنه رغم اتخاذه الحيطة لدرء خطرهم عنه اغتاله فريق منهم.

ابن ميسر: تاريخ مصر ص ٦٥ – ٦٨، المقريزى: خطط جـ ١ ص ٤٠٧.

الأمير الموفق بن الخياط بالقبض عليه وإرساله إلى مصر؛ فقدم ابن الخياط على السيدة الحرة وطلب منها أن تسلم إليه ابن نجيب الدولة تحقيقا لرغبة الخليفة، فامتنعت أول الأمر وقالت له:« أنت حامل كتاب مولانا فخذ جوابه»، وبعثت إلى الآمر بأحكام الله هدية وكتاباً مع رسولها محمد بن الأزدى شفعت فيه لابن نجيب الدولة، غير أن شفاعة السيدة الحرة لم تصل إلى مسامع الخليفة الفاطمى، فقد أحاط أعداء نجيب الدولة[١] به واعتقلوه وارسلوه إلى مصر، وأخروا رسول السيدة الحرة خمسة عشر يوما حتى لا يعلم الخليفة بحقيقة موقف ابن نجيب الدولة منه. ولم يكتفوا بذلك ، بل أوعزوا إلى ربان المركب الذى أبحر عليه هذا الرسول أن يغرقه فى الماء؛ فلبى رغبتهم ومات محمد ابن الأزدى غريقاً قبل أن يواصل سفره إلى مصر فجزعت السيدة الحرة على وفاته، كما أسفت على فقد ابن نجيب الدولة– وكان نصيراً لها ومن أكابر دعاة اليمن – وقد قتل بأمرالخليفة الآمر، على أثر قدومه إلى القاهرة سنة ٥٢١هـ[٢]، فأقامت مكانه الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى[٣].

كانت السيدة الحرة على اتصال وثيق بالخليفة الآمر، فتبودلت بينهما الكتب والرسل. وقد أظهرت ولاءها لهذا الخليفة، فاعترفت بإمامته، كما اعترفت من قبل بإمامة أبيه المستعلى وأقامت الدعوة لهما مما ساعد على احتفاظ الفاطميين بسيادتهم على بلاد اليمن.

وكان الخليفة الآمر ينظر إلى السيدة الحرة نظرة تقدير وإجلال

---

(١) ابن المؤيد اليمنى: أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ص٤٧

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص٤٧ ،٤٨ ، ابن ميسر: تاريخ مصر ص٧٠

(٣) Kay, yaman,Its Farly Mediaeval History p.298.

ويرى أنها من خيرة أعوانه بعد أن تبين له إخلاصها في نشر دعوته؛ لذلك حرص على أن تظل موالية لأبنائه من بعده؛ فلما رزق ابنه أباالقاسم الطيب في ربيع الأول سنة ٥٢٤هـ وجعله ولي عهده، كتب إلى السيدة يبشرها بمولد ولده الإمام أبي القاسم الطيب ويعرفها أنه ولي عهده ويأمرها أن تذيع هذا الخبر بين أهالي بلاد اليمن؛ وفيما يلي نص السجل الذي أرسله الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي إلى الملكة الحرة الصليحية في هذا الشأن[(١)]: (بسم الله الرحمن الرحيم): من عبد الله ووليه المنصور أبي على الآمر بأحكام أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، خاصة الإمام، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستنجدين، عصمة المسترشدين، وولية أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين، أدام الله تمكينها ونعمتها وأحسن توفيقها ومعونتها.. سلام عليك، فإن أمير المؤمنين بحمد الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن

---

(١) ذكر (ابن ميسر: تاريخ مصر ص٧٢) كيف احتفل الخليفة الآمر بإعلان البشرى بولاية ابنه أبي القاسم الطيب وتوليته الإمامة من بعده فقال: «زينت مصر والقاهرة وعملت الملاهي في الأسواق وبأبواب القصور، ولبست العساكر وزينت القصور. وأخرج الآمر من خزائنه وذخائره قماشا ومصاغاً ما بين آلات وأواني ذهب وفضة فزين بها وعلق الإيوان جميعه بالستور والسلاح، فأقام الحال كذلك أربعة عشر يوما وأحضر الكبش الذي يذبح في العقيقة وعليه جل ديباج وقلائد فضة وذبح بحضرة الآمر وأحضر المولود، فشرف قاضي القضاة ابن ميسر بحمله ونثرت الدنانير على رءوس الناس وعملت الأسمطة، وكتب إلى الفيوم والشرقية والقليوبية بإحضار الفواكه، فاحضرت وملئ القصر من الفواكه وغيرها وامتلأ الجو بدخان العود والعنبر».

(١) عمارة اليمني: تاريخ اليمن ص١٠٠-١٠١

يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين الأئمة المهتدين وسلم تسليما، أما بعد فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى لها عد، ولاتقف عند أمد ولا حد ولاتنتهى إلى الإحاطة بها الظنون لكونها كالسحاب الذى كلما انقضى سحاب أعقبها سحاب ،فهى كالشمس الساطعة الإشراق الدائمة الانتظام والاتساق والغيوث المتتابعة الاتصال الموالية بالغدو والأصال، ومن أشرفها لديه قدراً وأعظمها صيتاً وذكرا وأسناها جلالا وفخرا الموهبة بما جدده الآن بأن رزقه مولوداً مرضيا برا تقيا، وذلك فى الليلة المصبحة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة٥٢٤هـ؛ ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة المنابر وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر. وأضاءت بأنوار عزمه وبهجة طلعته ظلم الدياجر، وانتظمت به للدولة الزاهرة الفاطمية عقود المفاضل والمفاخر، استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور. ومنح المؤمنين منه بما قدح زناد السرور وسماه الطيب لطيب عنصره وكناه أبا القاسم كنية جده نبى الهدى المستخرج جوهره من جوهره؛ وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على ما من به من إطلاعه كوكبا منيراً فى سماء دولته وشهابا مضيئا فى فلك جلالته، ورفعته شكرا يقتضى باستدامة نعمته .. ويسأل أن يبلغه فيه كنه الآمال ويصل به حبل الإمامة ما اتصلت الأيام بالليالى. ويجعله عصمة للمسترشدين وحجة على الجاحدين وعونا للمنتَجين وسعادة للعارفين لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها،...، ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين ومحلك الذى امتنع عن المماثل والقرين، أبشرك هذه البشرى الجليل قدرها، العظيم فخرها،

المنتشر صيتها وذكرها لتأخذى من المسرة بها بأوفى نصيب وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء والمستجيبين إذاعة يتساوى فى المعرفة بها كل بعيد منها وقريب؛ لينظم بها عقد السرور ، فاعلمى هذا واعملى به إن شاء الله تعالى وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله والأئمة الطاهرين وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين»

لما قتل الخليفة الآمر فى أواخر سنة٥٢٤هـ، انتقلت السلطة إلى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر فأخفى أمر الامام الطيب وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلا لحمل منتظر[١] ولقب الحافظ لدين الله، لكن سرعان ماحيل بينه وبين التصرف فى شئون الدولة، فقد سجنه الوزير أبو على أحمد بن الأفضل ، وظل فى سجنه إلى أن قتل هذا الوزير ، فأعاده رجال الدولة ولياً للعهد[٢]، ثم استقرت له الخلافة وقرئ فى ربيع الآخر ٥٢٦هـ سجل بإمامته، وأمر بأن يدعى له على المنابر بهذه العبارة: اللهم صلِّ على الذى شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء دثوره وأقررت به الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره آية لمن تدبر الحقائق بباطن البصيرة مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا عبد المجيد أبى ميمون وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين »[٣].

لم تنظر السيدة الحرة إلى الوسيلة التى اتبعها الخليفة الحافظ للوصول إلى عرش الخلافة بعين الرضا، فقد اعتبرت إمامته باطلة على الرغم من

---

(١) يتضح مما أورده كل من ابن ميسر (تاريخ مصر ص٧٤)، أبو المحاسن (النجوم الزاهرة. جـ٥ ص ٢١٤.٢٤) أن الآمر لما مات ترك إحدى نسائه حاملا، فأقيم الحافظ وليا للعهد وكفيلا لطفل مرتقب .

(٢) المقريزى: خطط.جـ٢،ص٣٥٧.

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ص٧٤-٧٥

الكتب التى أرسلها إليها؛ فقد بعث إليها على أثر توليته الحكم سجلا بداه بعبارة «من ولى عهد المسلمين»، ثم أرسل إليها سجلا آخر فى السنة التالية مبتدئا بعبارة «من أمير المؤمنين» وقد حاول الحافظ فى كتبه التى بعثها إلى السيدة الحرة أن يستميلها إليه، لكنه أخفق فى ذلك لأنها كانت على علم بمولد الإمام الطيب وأخذت على نفسها العهد بنشر الدعوة له؛ ولهذا تخلت عن الدعوة للخليفة الحافظ وقالت «حسب بني الصليحى ماعلموه من أمر مولانا الإمام الطيب[١]».

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على أن يكون للدعوة الطيبية فى بلاد اليمن النفوذ الأسمى وامتد نشاطها فى سبيل الإبقاء على تلك الدعوة إلى بلاد الحجاز، ذلك أنه حين وصل إليها أن أمير مكة هاشم ابن فليته بن القاسم[٢] (٥٢٧-٥٤٩هـ) يقيم الخطبة للخليفة الحافظ بعثت إليه تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة لهذا الخليفة[٣]؛ ولاشك أنها كانت تأمل من وراء ذلك أن يحذو الأمير حذوها فى إقامة الدعوة للإمام الطيب.

لقى عدم اعتراف السيدة الحرة بإمامة الخليفة الحافظ ارتياحا من فرقة المستعلية بمصر التى كانت ترى وجوب انحصار الامامة فى أولاد المستعلى،بل إن هذه الفرقة نظرت إلى السيدة الحرة على أنها الممثلة الحقيقية للمذهب الإسماعيلى فى بلاد اليمن.

على أن الخليفة الحافظ لم يفقد الأمل فى نشر الدعوة له فى بعض

(١) عمارة اليمنى: تاريخ ص١٠٢

(٢) صحح هذا الاسم طبقا لما أورده (Zambaur, Manuel de Genealogie et de Chronologie pour L'Historire de L'Iaam p.21

(٣) ابن خلدون: جـ٤ ص١٠٤

مدن اليمن، فقد استعان بآل زريع بعدن فى بث دعوته وكان لجدهم عباس بن المكرم[1] مآثر طيبة فى نشر الدعوة للمستنصر بالله الفاطمى مع الداعى على بن محمد الصليحى ثم مع ابنه أحمد المكرم[2].

ولى العباس بن المكرم وأخوه مسعود ولاية عدن من قبل السيدة الحرة، وظلا يحملان إليها كل سنة مائة ألف دينار. ولما توفى العباس انتقل عمله إلى ابنه زريع ، وخلف مسعود ابنه أبو الغارات، وقد خرج كل من زريع وأبو الغارات على طاعة السيدة الحرة، فحاربهما وزيرها المفضل بن أبى البركات ، ثم تصالحا معه على أن يؤديا للسيدة الحرة نصف خراج عدن؛ غير أن هذا الصلح لم يدم طويلا، وظل آل زريع يناضلون السيدة الحرة حتى تخلصوا من نفوذها فى عدن[3].

عنى دعاة آل زريع بإقامة الدعوة للخليفة الحافظ.كما حرص هذا الخليفة على تقليدهم أمر دعوته، فبعث فى سنة ٤٣٥هـ رسالة مع أحد رسله تتضمن تقليد على بن سبأ بن أبى السعود بن زريع الدعوة؛ ولما علم

(١) كان بنو معن بن زائدة قد ملكوا عدن أيام الخليفة المأمون العباسى ورفضوا الدخول فى طاعة بنى زياد بزبيد واكتفوا بإقامة الخطبة للخليفة العباسى. ولما استولى الداعى على بن الصليحى على بلاد اليمن رعى لهم حق العروبة وأبقاها فى أيديهم .وقرر عليهم ضريبة سنوية، ولم يزالو بها حتى أخرجهم منها ابنه المكرم أحمد وولى عليها العباس ومسعود ابنى المكرم الهمذانى.

تاريخ ابن المجاور: القسم الأول ورقة٩٩ . العرشى: بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص٢٧ .

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص٤٨ ، تاريخ ابن المجاور: القسم الأول ورقة ٩٨

(٣) تاريخ ابن المجاور: القسم الأول ورقة٩٩

الرسول أن هذا الرجل قدتوفى قلدها أخاه محمد بن سبأ[١] ولقب بالداعى المعظم المتوج المكنى بسيف أمير المؤمنين[٢]. وبلغ من اهتمام الخليفة الحافظ بإقامة الدعوة أن أرسل فى سنة ٥٣٩هـ رسولا من قبله إلى بلاد اليمن يدعى أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير الغسانى الأسوانى ليقوم بنشر دعوته[٣].

كان من أثر قيام السيدة الحرة بالدعوة للإمام الطيب دون الخليفة الحافظ وانفراد آل زريع بالدعوة لهذا الخليفة أن انقسمت إسماعيلية اليمن تبعاً لذلك إلى طائفتين: إحداهما تؤيد الدعوة الطيبية وعلى رأسها السيدة الحرة، والأخرى تناصر الخليفةالحافظ يتزعمها آل زريع.

على أن الدعوة الطيبية مالبثت أن ضعف أمرها بعد وفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢هـ ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه لم يكن هناك بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تخلف هذه السيدة وتسير سيرتها فى نشر الدعوة للإمام الطيب؛ فقد زال ملكهم وآلت الحصون والذخائر والأموال التى كانت تحت السيدة الحرة إلى منصور بن المفضل بن أبى البركات الذى عجز عن الاحتفاظ بما انتقل إليه من ملك.

تطلع آل زريع بعد أن توفيت السيدة الحرة إلى بسط سلطانهم على قلاع الصليحيين الذين زالت دولتهم؛ فاستغل الداعى محمد بن سبأ الزريعى ضعف المنصور بن المفضل بن أبى البركات الذى آلت إليه

---

(١) ابن المؤيد اليمنى: أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ص٤٧

(٢) ابن خلدون: جـ٤ ص٢١٩

(٣) الأدفوى: الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ص٥.

هـذه القـلاع وابتـاعهـامنـه بمائـة ألف ديـنار فـى سنـة٥٤٧هـ[١]؛ فقـوى نفوذهـم تبعاً لذلك، وظـلوا موالين لـلخلافة الفاطمـية فى مصـر، يؤدى إليـها فى كـل سـنة مـبلــغاً معيـناً من المـال للإنفــاق منـه على المـذهب الإسـماعيلى[٢].

أخذت دولة بنى زريع بعدن فى الانحـــلال بعد وفاة محمد بن سبأ الزريعى سنة٥٤٨؛ وتجلـى ضعفها فـى عهد ابنـه عمران الذى اسـتعان بياسـر بن بلال فى تـدبير أمور دولـته واستمـر على ولائه لـلفاطمـيين إلى أن توفى سـنة ٥٦٠هـ، فاسـتأثر ياسـر بالسـلطة[٣]. وزال بذلك ملك بنى زريع.

أصبـح النفـوذ الفـاطمى فـى بلاد اليـمن مهـددا بالـزوال منذ ولـى صـلاح الـدين يـوسـف بـن أيوب مـقالـيد الأمـور فى مـصـر بـعدقـضائـه علـى الخلافـة الفاطـمية سـنة ٥٦٧هـ، فقد طـمع فى بـسط سلـطانه عـلى البـلاد التى كـانت تحت الـسيادة الفـاطمية وولـى وجـهـه فى بادئ الأمــر نحو اليـمن[٤]، فبعث إلـيها أخـاه الأمير شـمـس الـدولة توران شـاه على رأس حـملة سـنة ٥٠٩هـ. ولـما وصـل تـوران شـــاه إلى تـلـك البـلاد بدأ عـمـلـه بـالـقـضــاء عـلى دولـة بنـى مهـدى بزبيـد التى كـانت تناصـر الفاطـميين بمـصـر[٥]، فـقـبض علـى أميـرها

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص١٧٤

(٢) تاريخ ابن المجاور: القسم الثانى ورقة ١٠٣

(٣) ابن خلدون: جـ٤ ص٢٤٩.

(٤) ذكر المقريزى؛ السـلوك لمعرفـة دول الملوك جـ١ القـسم الأول ص٥٢، ٥٣، انـه من الأسـباب التى حملـت صلاح الدين على فتح بـلاد اليمن رغبته فى إقـامة دولة بها يلجأ إلـيها إذا ماحاول نور الدين محمود أن ينزع منه مصر.

(٥) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٦٩

عبد النبى بن مهدى لقطعه الخطبة العباسية واستولى على زبيد، ثم فتح صنعاء وسار إلى عدن حيث أوقع الهزيمة بواليها ياسر بن بلال وضمها إلى حوزته. ولما فرغ من أمرها عاد إلى زبيد وامتلك قلعة تعز- وهى من أحصن القلاع- ولم يزل يتقدم فى فتوحه حتى بسط سلطانه على معظم بلاد اليمن[١]، وتلقب بالملك المعظم وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضئ بأمر الله العباسى فى جميع البلاد التى فتحها[٢]. وولى سيف الدولة مبارك بن منقذ على زبيد، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلى على عدن، كما عين فى كل قلعة من قلاع اليمن التى دخلت فى حوزته نائبا من أصحابه[٣]، ثم عاد إلى مصر سنة ٥٧١هـ.

وهكذا قضى على الدعوة الفاطمية ببلاد اليمن، كما زال نفوذ الفاطميين منها وانتقلت السيادة فى تلك البلاد إلى الأيوبيين الذين حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين وأقاموا الخطبة لهم فى جميع البلاد التى تحت سيطرتهم.

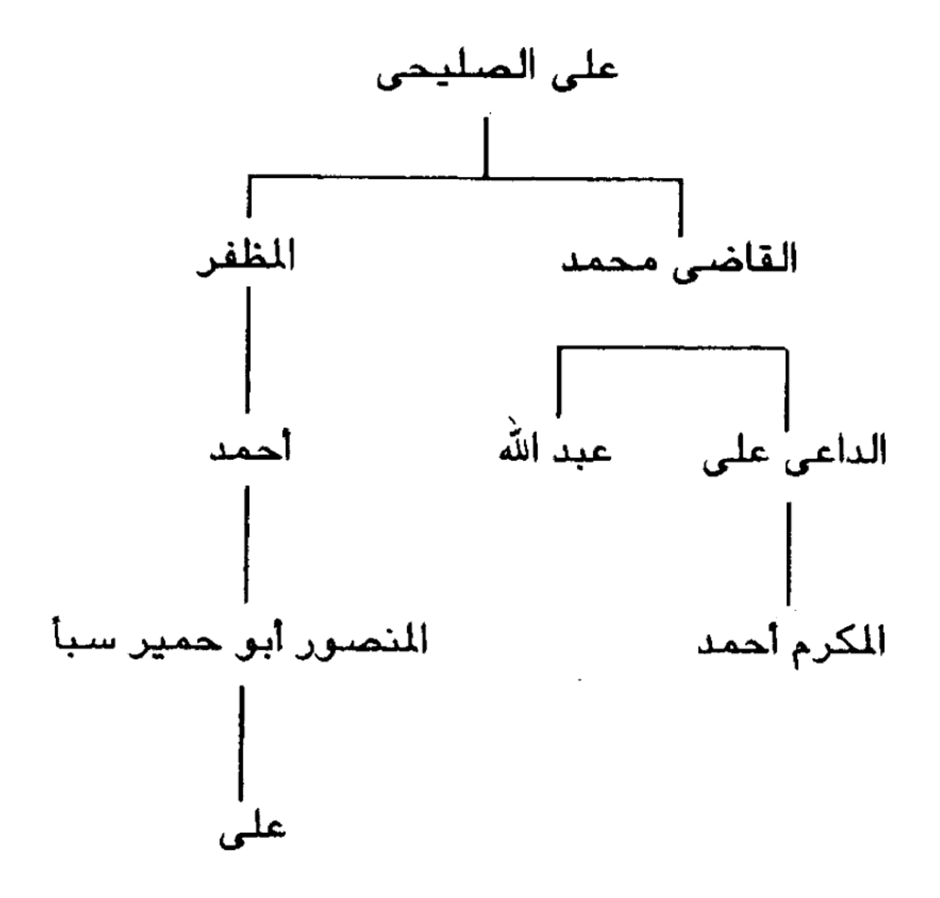
(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ١١ ص١٤٨-١٤٩، المقريزى خطط جـ٢ ص١٧٣

(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ القسم الأول ص٥٢

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ١١ ص١٤٩

(٤) العرشى: بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص٤١

أسرة الصليحى ببلاد اليمن(١)



(١) Kay, Yamam,Its Early Mediaeval History p.304

مصادر الكتاب

١ - ابن الأثير:(ت ٦٣٠هـ ، ١٢٢٨م) على بن احمد بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرى.

«الكامل فى التاريخ»١٢ جزءا

٢ - أحمد أمين:

«ظهر الإسلام» الجزء الأول(القاهرة ١٩٤٥)

٣- الأدفوى: (ت٧٤٨هـ) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على الأدفوى الشافعى

« الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد»

٤- بامخرمة: أبو محمد عبد الله بن أحمد الطيب بامخرمة

« المختار فى تاريخ ثغر عدن» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة» .

٥- البهاء الجندى:(٧٣٢هـ ، ١٣٣١م) ابو عبد الله بهاء الدين بن يوسف بن يعقوب الجندى.

« أخبار القرامطة باليمن» المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك

٦ - ابن الجوزى:(ت ٦٥٤هـ ، ١٢٥٧م) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن غزا أوغلى المعروف بسبط بن الجوزى «مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٥١ تاريخ).

٧-حسن إبراهيم حسن: (دكتور)

(١) « الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص» (القاهرة ١٩٣٢م)

٨- (ب) « تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى»

(الجزء الثالث- القاهرة ١٩٤٦م)

٩- حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف

«كتاب عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب» (القاهرة ١٩٤٧م)

١٠- ابن حزم: (ت٤٥٦هـ، ١٠٦٤م) أبو محمد على بن أحمد سعيد بن حزم ابن غالب بن صالح الأندلسى الظاهرى «جمهرة أنساب العرب» (تحقيق وتعليق إ. ليفى. بروفنسال- القاهرة ١٩٤٨)

١١- الحمادى اليمانى: محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى (من فقهاء السنة فى أواسط القرن الخامس الهجرى) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة».

١٢- ابن خلدون: (ت ٨٠٨هـ، ١٤٠٥- ١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد « العبر وديوان المبتدأ والخبر»- ٧ أجزاء- (بولاق ١٢٨٤هـ)

١٣- ابن خلكان:(ت ٦٨١هـ، ١٢٧١م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن بكر الشافعى. « وفيات الأعيان» - جزءان- (بولاق ١٢٨٣هـ)

١٤- دحلان: (ت١٣٠٤هـ) أحمد زينى دحلان المكى «خلاصة الكلام فى أمراء البيت الحرام»

١٥- الديبع الشيبانى: (ت٩٤٤هـ) الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى الشافعى المشهور بالديبع الزبيدى « قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة).

١٦- عبد العزيز الدورى: « دراسات فى العصور العباسية المتأخرة» (بغداد ١٩٤٥م).

١٧- عبد القادر الأنصارى: (الشيخ زين الدين عبد القادر بن البدرى محمد بن إبراهيم الأنصارى). (من علماء القرن العاشر الهجرى) « درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» (مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة).

١٨- العرشي: القاضي حسين بن أحمد العرشي الزيدي- (من علماء القرن الرابع عشر الهجري) « بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام» (نشر الأب أنستاس ماري الكرملي).

١٩- عمارة اليمني: (ت ٥٦٩هـ،١١٧٤م) أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان أحمد الحكمي اليمني الملقب بنجم الدين « تاريخ اليمن» (نشر Henri cassels Kay)

٢٠-عمارة اليمني: « النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» (نشر Hart-wing derenbouty)

٢١- أبو الفداء: (ت ٧٣٢هـ،١٣٣١م) إسماعيل بن علي عماد الدين « المختصر في أخبار البشر» (٤اجزاء).

٢٢-القلقشندي: (ت ٨٢١هـ، ١٤١٨م) أبو العباس أحمد « صبح الأعشى في صناعة الإنشا» (١٤جزءا).

٢٣- ابن المؤيد اليمني: (يحيى بن الحسين) « أنباء الزمن في تاريخ اليمن» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة - رقم ١٣٤٧)

٢٤- ابن المجاور: (ت ٦٩٠هـ) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي «تاريخ ابن المجاور» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة. رقم ٥٣٤٢)

٢٥- أبوالمحاسن: (ت٨٧٤هـ، ١٣٥٤م) جمال الدين يوسف بن تغري بردي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة).

٢٦- المقدسي: (ت ٣٨٨هـ، ٩٩٧م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري .

«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (المكتبة الجغرافية العربية- المجلد الثالث) (طبعة دي غويه. ليدن ١٩٠٦م).

٢٧- المقريزي:(٨٤٥هـ ، ١٤٤١م) تقي الدين أحمد بن علي « السلوك لمعرفة دول الملوك» (نشر الدكتو زيادة).

٢٨- المقريزي: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (طبعة بولاق ١٢٧٠هـ)

٢٩- المقريزي: « اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» (نشر الدكتور جمال الدين الشيال- القاهرة ١٩٤٨م.

٣٠- ابن ميسر: (٦٧٧هـ، ١٢٧٨م) محمد بن علي بن يوسف بن جلب «تاريخ مصر» (طبعة هنري ماسيه Henri Masse القاهرة ١٩١٩م)

٣١- النويري: (ت ٧٣٢هـ، ١٣٢٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب « نهاية الأرب في فنون الأدب» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٤٩).

٣٢- ياقوت: (ت ٦٣٦هـ ، ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي «معجم البلدان» ١٠أجزاء (القاهرة ١٩٠٦م)

٣٣- اليماني: محمد بن محمد «سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سلجماسة» (نشر إيفانون. مجلةكلية الآداب بجامعة القاهرة ديسمبر ١٩٣٦).

٣٤- السجلات المستنصرية. سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاة اليمن وغيرها (نشر وتحقيق دكتور عبد المنعم ماجد سنة ١٩٥٤)

٣٥- مجموعة الوثائق الفاطمية (المجلد الأول)(جمعها وحققها دكتور جمال الدين الشيال- القاهرة ١٩٥٨)

36- Al- Hamdani, (Husain)

Letters of Al- mustansir Billah." Billetin of the School of Oriental Stutlies, vo. VII. part21934.

37- De goeje.:"Memoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides" leyden,6188).

38. Lvanow,:

"The Rise of Fatimids"

39. Kay (Henri Cassele):

"Yaman. Its Early mediaeval History"

40. Lane-poole, (stanley):

"AHistory of Egypt in the Middle Ages"

41.Mez (Adam):

"Die rentaissence des lslams"

(نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة تحت عنوان «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى» - القاهرة ١٩٤٠-١٩٤١).

42.O'Leary, (De Lacy):

"Ashort history of the fatimid Khalifatwe".

43. Weit, (Gaston):

"Hiatoire de la nation Egypitenne, vol LV"(L'E gypt e Arabe.)

44. Zambaur, (E,D.):

"Manuel de genalogie et de Chronelogie pour L'historire de L'lam".

45. Encyclopaedia of lslam.

46. Encyclopacdis of religion and Ethics.